عظات مختارة

على أناجيل القداسات

٣

آحاد الخمسين المقدسة

[redacted]

الأب متى المسكين

آحاد الخمسين المقدسة

الأب متى المسكين

اســـم الكتـــاب : عظات مختارة على أناجيل القداسات
(٣) آحاد الخمسين المقدسة
اســـم المؤلـــف : الأب متى المسكين
الطبعـــــــة : الأولى ٢٠١٢م
رقـــم الإيـــداع : ٤٨٣٠ / ٢٠١٢
الترقيم الدولـــي : 977-5334-71-3

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

يُطلب من : ٠١٢٢٥٣٧٨٧٠٧
ومن المكتبات المسيحية بالقاهرة والأقاليم.

استهلال

فكرة هذا الكتاب ترجع إلى أن أبانا متى المسكين كان عادة ما يُلقي كلمة روحية على الرهبان بعد إنجيل القداس تختص بقراءة اليوم، وإذا كان ذلك متعذراً فيكون آخر النهار بعد رجوعهم من العمل.

وكان اجتماعهم هذا معاً، حول مائدة المسيح، هو مصدر وحدتهم وألفتهم، كأبناء يتشربون من أبيهم الروحي عصارة الحياة الروحية.

وتنيح أبونا في ٢٠٠٦/٦/٨، وجرت مياهٌ كثيرة، ولكن بقيت كلماته، وما أدسمها وما أكثر تنوعها، فكانت الفكرة في إعداد عظات مختصرة من كتبه وعظاته المسجلة، وتخص المناسبة الكنسية لكي تُتلى علينا، نحن أولاده الرهبان، في فترة لا تتجاوز العشر دقائق.

غرضنا الأساسي هو أن تكون هذه العظات بمثابة فاتح شهية ومادة تشويقية للقارئ ليعود بعدها للنص الأصلي.

وهذه العظات ليست شرحاً منهجياً، ولا تفسيراً حرفياً للإنجيل، ولكنها تأمل خاطف سريع، القصد منها أن يلتهب القلب وتنشط الروح وينفتح الإنجيل.

وقد حوى الكتاب الأول (لم يصدر بعد) آحاد الشهور الأولى من السنة القبطية حتى بداية الصوم الكبير، ثم الشهور التي تلي فترة الخمسين المقدسة وحتى نهاية العام القبطي.

والجزء الثاني يتضمن أيام صوم يونان والصوم الكبير.

أما الجزء الثالث، كتابنا هذا، فهو عن آحاد الخمسين المقدسة، وهو يحوي عظة على إنجيل القداس، وعظة أخرى عامة عن القيامة.

وفي النهاية الفضل كل الفضل لمن قال وكتب، والتقصير كل التقصير لمن اختار ونقل.

الفهرس

عظات مختارة ١

استهلال ٥

الفهرس ٧

عيد القيامة ٩

عشية يوم القيامة ١٩

الاثنين من الأسبوع الأول (شم النسيم) ٢٥

الأحد الأول من الخمسين ٣٦

الأحد الثاني من الخمسين المقدسة ٤٨

الأحد الثالث من الخمسين المقدسة ٥٩

الأحد الرابع من الخمسين المقدسة ٧٢

الأحد الخامس من الخمسين المقدسة ٨٢

عشية عيد الصعود ٨٨

خميس الصعود ٩٦

عشية عيد حلول الروح القدس ١١١

عيد حلول الروح القدس ١١٧

عيد القيامة

(يوحنا ٢٠: ١-١٨)

[وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِراً، وَالظَّلاَمُ بَاقٍ. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعاً عَنِ الْقَبْرِ. فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ، وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَأَتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَ الاثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعاً. فَسَبَقَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، وَانْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ، ودَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعاً مَعَ الأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفاً فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ. فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضاً التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَمَضَى التِّلْمِيذَانِ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِهِمَا. أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجاً تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ، فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِداً عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعاً. فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفاً، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ». فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيذَ أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هذَا].

القيامة

خريستوس آنستي.

هذا هو هتاف الكنيسة الأولى الذي ألهب الروح فيها، مُنبئـاً بافتتـاح عصر الملكوت.

في يوم الجمعة العظيمة استودعنا آدم في المسيح بلحن غولغوثا، ميتاً على الصليب. وفي السبت دفنّاه بأطياب وحنوطٍ للجسد، وبموته انتهى عـصر البشرية العتيقة. واليوم ينبثق نور الحياة الجديدة من ظلمة قـبر الإنـسان، ويقوم المسيح، الإنسان الثاني، من بين الأموات باكورة الخليقـة الجديـدة ورأسها، مُعلناً بداية عصر الدهر الآتي وظهور ملكوت الله داخل القلوب.

يوم الجمعة العظيمة كان أعظم أحداث الخليقة الأولى قاطبة. كان يـوم تصفية، ليس لكل خطاياها وأوجاعها التي حملها المسيح في جسده علـى الصليب فحسب؛ بل كان تصفية جذرية ونهائية لعنصر الظلمة ورئيـسها وجوهر الخطية ذاتها. لقد دان الله الخطية والعالم في الجسد، فمات المـسيح على الصليب حاملاً في جسده لعنة آدم وكل بنيه، وبموت البار من أجـل كل الأثمة؛ تم بذلك حكم الناموس في كل ذي جسد: «**فإن كان واحد قد مات من أجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا**». وبموت الجميع في المسيح انتهت البشرية الأولى بكل لعنتها.

القيامة التي أكملها الرب في اليوم الثالث هي بالنسبة للمسيح قيامة من بين الأموات؛ أما بالنسبة لجسد آدميتنا الذي مات به فهي خليقة جديدة:

«إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة».

إن القيامة التي قامها المسيح لم تأتِ من فراغ، بل بدأت من قبر، ومن موت حقيقي، ومن تسليم كلي للذات في يدي الآب، من طاعة مُذعنة سارت بأقدام الحب حتى الموت موت الصليب.

يستحيل أن نذوق القيامة ونحن لم نُكمِّل واجبات الموت وطقوس الدفن الإرادي، لأن الذي يريد أن يقوم مع المسيح يتحتم عليه أن يعتمد لموته ويُدفن معه بإرادته حياً.

يستحيل أن ينقلنا الآب إلى نور ملكوت ابن محبته، ونحن لا يزال فينا شيء من الظلمة. لا يمكن، بل ويستحيل أن يعبر الإنسان وهو في الخليقة العتيقة ليعيش في دائرة القيامة والحياة الأبدية، وهو بعد يعيش بالجسد أو خوفاً على الجسد أو حباً في الجسد. المولود من الجسد جسد هو، وحسب الجسد يعيش ويفكر ويفرح ويحزن ويطمئن ويندم، حيث كل معيشته تدور حول أمور الجسد والدنيا وهمومها. أما حياة القيامة فهي بدء الميلاد الثاني، وهي بالروح. والمولود من الروح هو روح، ومعيشته كلها هي بالروح، وكل أفراحه وأحزانه واطمئنانه كلها تدور حول أمور الروح، وهي بحسب الله يعملها، حتى أعماله العادية من أكل وشرب هو يعملها لمجد الله.

الإنسان الجسدي والإنسان الروحاني كلاهما يعيش في هذا العالم، وكلاهما يفرح ويحزن ويطمئن ويؤدي كل مهام هذه الدنيا؛ ولكن الأول

يعيش ويعمل كل شيء للجسد ومن أجل الجسد وخوفاً على الجسد وحباً في الجسد، ويموت مع الدنيا؛ والثاني يعيش ويعمل بالروح لمجد الله فقط، لذلك فهو يعيش فوق الدنيا ولا يذوق الموت أبداً.

لا يمكن بل يستحيل أن يعبر الإنسان إلى دائرة القيامة والحياة الأبدية وهو بعد يعيش بالجسد أو من أجل الجسد أو خوفاً على الجسد أو حباً في الجسد.

هوذا الله قد خلق بقيامة المسيح من الأموات كل شيء جديداً، لأن الأمور العتيقة مضت كلها، لقد تصفَّت نهائياً على الصليب، مع كل ما لا ينسجم مع ملكوت الله.

لقد جمع الله في ابنه كل معاثر بني آدم وتعدياته، وصلبها في جسده، وماتت الآدمية عن كل ماضيها في الخطية والتعدي، ثم أقامها المسيح معه في اليوم الثالث خليقة أخرى جديدة فيه ومنه، ليس فيها ما يعوقها عن المسير في جدة الحياة.

بالصليب انتهى دهر اللاخلاص، دهر الخليقة العتيقة، وبالقيامة ابتدأ دهر الخلاص الأبدي، دهر المسيح والخليقة الجديدة، جيل الإنسان الجديد المولود من فوق لميراث ملكوت الله. صارت القيامة هي الباب الجديد الذي افتتح به الرب أزمنة الخلاص وبهجة الملكوت وأنار طريق الخلود. (١)

---

(١) عظة القيامة سنة ١٩٧٤، القيامة والصعود ص ١٧٦

صـــلاة

الشكر لكَ والتسبيح والمَجد الدائم، يا ابن الله، يا مَنْ صنعتَ عجباً لِحسابنا.

أتوسَّل إليك، يا رب، يا مَنْ صالَحتَ النفس بالجسد، أن تُصالِح نفوسنا بأجسادنا.

أجسادنا ثقيلة جداً على نفوسنا، لا تريد أن تستجيب لِمطالب النفس والروح. تُطالبها بالقيام والوقوف فتتكاسل وتتراخى. ليتكَ، يا رب، تعطينا قيامة صادقة حقيقية للجسد والنفس. لكي لا يتمرَّد الجسد فيما بعد على الروح، بل يتصالَح معها ويستجيب. والروح أيضاً تتصالَح مع الجسد في ألفة أنتَ كونتها بعد خصومة دامت آلاف السنين.

أيها القائم من الأموات ليتكَ في هذا اليوم المبارك تشفى خصومتنا؛ إن كان في داخلنا أو في خارجنا؛ ألغِها يا رب كما ألغيتَ الموت، الغِ الخصومة من أعماقنا كما ألغيتَ الفساد، لكي يَدُبّ الصلح والسلام بين أنفسنا وبين الآخرين ولا يَعُد لنا عدو. فأعطِنا نَحن الذين دُعينا أبناء قيامة ونور، أن نتصالَح مع كل إنسان في الوجود.

فيا من أسكنت، يا رب، تلاميذك قوة قيامتك، فسلكوا بها، افتقد الآن كنيستك المنقسمة ليعود إليها صلحها وسلامها وألفتها، ويحل روح القدوس فيه.

آمين، اسمع يا رب، في هذا اليوم المبارك، ألقِ صلحاً وسلاماً على وجه الأرض كلها حتى يهتم كل إنسان بخلاص نفسه.[٢]

---

(٢) القيامة والصعود ص٢١٦

القيامة حدث فوق الطبيعة

المسيح قام – بالحقيقة قام

الحديث عن القيامة، يا أحبائي، ليس كالحديث عن الموت والصليب. فالموت حدثٌ طبيعي، ولكن القيامة حدثٌ فوق الطبيعة وخرق لكل قوانينها. القيامة إلغاء للموت وإلغاء للزمن وإلغاء للألم. القيامة هي حياة أبدية لا يمكن أن تُحس بحواس الحياة الأرضية الزمنية، لكن إنما تُحس روحياً فقط، وتبقى الحواس الجسدية متخلفة وفي ذهول، وهذا الذي يصفه الإنجيليون مراراً وتكراراً: **أنهم رأوا وسمعوا ولم يُصدِّقوا**. لذلك نحن هنا أمام واقعة فائقة تتطلب إيماناً يفوق العقل والحواس، لأنه لكي نُدرك القيامة لابد أن ندرك الحياة الأبدية، ندرك اللامحسوس بالمحسوس، ندرك الفائق على العقل بإيمان يتحتم أن يفوق العقل، لكي تخضع الحواس ويخضع العقل فيرى ويؤمن.

لذلك لا يمكن أن نعتبر القيامة كالصليب حدثاً زمنياً؛ إنه "حدث إلهي"، أو بالمعنى الكنسي "إنه سر".

ولكن القيامة تمت في صميم الزمن أيضاً، في أول إشراقة الفجر والظلام باقٍ حينما يبدأ النور يطارد الظلمة. فلقيامة المسيح براهين مادية وشهود عيان والقبر الفارغ واللفائف الموضوعة في مكانها ملفوفة على ذاتها، ولكن تظل المفارقة هائلة بين البراهين المادية على القيامة كفعل إلهي فائق على المادة.

لذلك فكل هذه البراهين لم تكن كافية لبعض التلاميذ لكي يؤمنوا بالقيامة. ذلك لأنه لا يمكن البرهنة على القيامة التي قامها الرب ببراهين

مادية خالصة. هذا أمر مستحيل، و لم يلجأ إليها التلاميذ ولا بولس الرسول في محاجاته مع أهل كورنثوس على حقيقة القيامة التي سيقومها المؤمنون بالمسيح كما قام المسيح نفسه، بل اكتفى بشهود العيان فقط، أو بمعنى أدق اكتفي بإيمان الشهود.

القيامة سر وليست حدثاً تاريخياً. إنها مركز الإيمان المسيحي كله، ولا يحتاج إلى برهان مادي. بل وحتى القبر الفارغ نفسه لا يقف شاهداً للقيامة بحد ذاته لولا مؤازرة الإيمان الواعي أو بمعنى أوضح: مؤازرة: **الاستعلان.**

لابد للقيامة من شاهد لا يعتمد على عينيه ولا على القبر الفارغ، ولا على المسيح نفسه وهو واقف أمام الأحد عشر!! القيامة أعظم جداً جداً من أي برهان مادي أو حسي أو ذهني.

والقيامة هي مركز المسيحية وبدؤها، لم يُصغْها الإنجيل كمقولة إيمانية أو عقيدة لاهوتية؛ بل يقدمها كظهور فعلي للمسيح الذي أقامه الله من الأموات، وأعلنه حياً بكل وضوح وتأكيد إيماني.

لذلك جاءت شهادة الشهود جميعاً خالية من أي محاولة بشرية من جانبهم لإثبات حقيقة القيامة، ولكن اقتصرت شهادتهم جميعاً على تأكيد ما حدث، تأكيد الرؤيا والاستعلان الذي اختبروه كعمل إلهي، كفعل من أفعال الله الخارقة التي سيطرت تماماً على حياتهم وفكرهم وحركتهم وكلامهم بل وعلى أكلهم وشربهم.

الإنجيل كان أميناً في قصته ما يمكن أن تكون الأمانة في الشهادة لقيامة الرب حيث قال: «وبعضهم شكّوا». هنا يضع الإنجيل القيامة في موضعها الصحيح، إنها أعلى من كل الإمكانيات البشرية، حتى التي للتلاميذ أنفسهم! **إذ لابد للإيمان بالقيامة أن ينفتح وعي الإنسان لقبول الحياة الجديدة نفسها، حيث الإيمان بالقيامة يكون نابعاً من قوة الله على الحياة الداخلية للإنسان.**

والقيامة عملية تحوُّل عظمى في حياة المسيح، نقلته من دائرة الحياة البشرية الزمنية، وأدخلته في مُلكه الأبدي أي دائرة الحياة الأبدية الفائقة على الحياة البشرية، من مسيح التاريخ إلى مسيح المجد الأبدي؛ وذلك لكي يصير منظوراً ومُعلناً لا لجماعة تلاميذ قليلة سمعوه ورأوه في أيام خدمته أيام حياته الزمنية القليلة التي عاشها على الأرض، بل ليصير مُستعلناً ومعروفاً لكل الناس على كل الأرض على مدى كل الدهور.

ولكن، هل من وسيلة لكي نعيش نحن أيضاً قيامة المسيح مع المسيح؟

يا أحبائي، يلزمنا جداً أن نكون واقعيين وصرحاء مع أنفسنا. يوجد ملكوتان: ملكوت الشيطان في العالم الخارجي لنا، ثم ملكوت الله في داخل قلوبنا. ولابد من الانحياز الواضح لملكوت الله في داخل قلوبنا حتى تُستعلن قيامة المسيح وتتحرك قلوبنا حركة الحياة الأبدية.

الانحياز لملكوت الله يُميت من القلب أي ميل نحو ملكوت الشيطان، النور يطرد الظلمة، والحياة تلغي الموت، والبر الأبدي يحطم ناموس الخطية، والقيامة تلغي الألم.

الصراع مُر ولا يهدأ، والخسارة أكيدة وبالمرصاد جسداً ونفساً وكرامة!! ولكن شكراً لله، فهو صراع مع سلطان الهواء أمام سلطان الروح القدس، صراع ظلمة متخلفة إزاء نور قاهر، والخسارة منحصرة في كل ما هو ترابي وزمني، والربح مضمون بعهد أبدي.

فبمجرد إعلان الانحياز الكلي للمسيح بعزم وإصرار، لا يعود صعباً على المسيح أن يُعلن قيامته فينا، لأن جحد الشيطان مع أعماله معناه الانضمام إلى ملكوت الله، فالخروج من الظلمة هو الوسيلة الوحيدة لرؤية الشمس. آه، ما أحوجنا إلى قلب تحرر من الخطية لنشهد قيامة المسيح ونعيش في نورها المبارك المبهج ولنرنم لها مدى الحياة.

لقد جحدنا الشيطان ووُلدنا في المعمودية للقيامة، فهل نحن الآن لها؟ وهل نحن نعيشها؟ الأمر يحتاج إلى مراجعة شديدة.

الذين ذاقوا القيامة مع المسيح هؤلاء لهم صفات ولهم سلوك وحياة خاصة تكشف أنهم يحيون قيامة المسيح.

يا أحبائي، إن أردنا أن نقبل قيامة المسيح ونعيش فيها، لابد أن يلتصق قلبنا جداً بما هو فوق. لابد أن تخلو سيرتنا من أي شيء يكون ذكره مُعثِراً أو قبيحاً كما يقول القديس بولس، لابد أن نتوبخ بشدة حتى ينكشف النور، لابد أن نكون قد متنا بالفعل عن العالم ومُلكه الفاني، وختمنا وثيقة انضمامنا لمملكة المسيح، واستعددنا لكل غرامة، ونعيش فعلاً كأننا جُزنا الصليب والقبر، حتى تبدأ حياتنا الجديدة مستترة في المسيح وقيامته. وتكون

القيامة هي مركز حياتنا وتفكيرنا وحركتنا واهتمامنا وآمالنا.

وإن أردنا أن تكون القيامة هي مركز حياتنا يلزم أن نُغيِّر ذهننا، نخلعه، لنلبس فكر الإنسان القائم، حيث نعيش معه لحظة بلحظة منتصرين وأعظم من منتصرين. (٣)

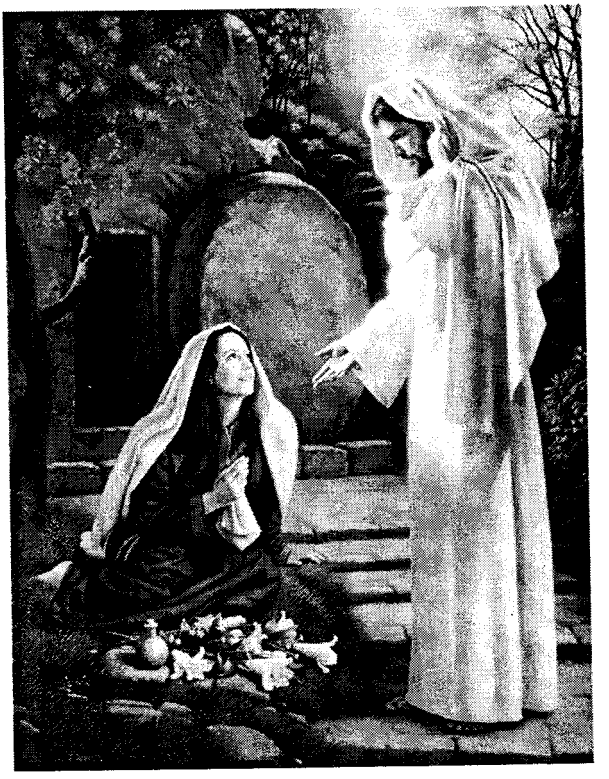

(٣) عظة القيامة سنة ١٩٧٩.

عشية يوم القيامة

(يوحنا ٢٠: ١٩- ٢٣)

[وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذلكَ الْيَومِ، وَهُوَ أَوَّلُ الأُسْبُوعِ، وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مَغْلَقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ. وَلَمَّا قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سَلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ»].

تذكار ظهور المسيح للتلاميذ

اخريستوس آنستي/ أليثوس آنستي.

القيامة، يا أحبائي، حدث هبط إلينا من السماء، ومفهومه يفوق العقل والحواس والمشاعر والتفكير، إنه فعل خلقة جديد أضاف للإنسان بُعداً جديداً سماوياً؛ لذلك يلزم هنا ذهن مستعد لقبول حقائق جديدة لا تُقاس بأي حقائق أو قياسات معروفة سابقاً للإنسان، وهي في نفس الوقت حقائق ليست وهمية ولا تصويرية، بل حقائق واقعية يمكن أن تلمسها اليد لمس اليد لليد، وتتحسسها كما تحس العظم واللحم.

«ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة»:

كان هذا هو اليوم المتميز والحاسم في تاريخ الكنيسة، بل على وجــه التدقيق في تاريخ الإنسان. فقد انتصر المسيح وغلب الموت، الذي هو عدو الإنسان الأول والأخير. ووهب للإنسان الحياة الجديدة الــتي لا ســلطان للموت عليها. ونفخ في الإنسان من روح الله القدوس ليتقبل قوة الحياة التي لا تموت، عِوض نفخة الله في نفس آدم التي أطفأتها لعنة العقوبــة، فــساد عليها الموت كتأديب.

كانوا عشرة تلاميذ من الاثنى عشر، فيهوذا سقط من الحساب، وتومــا تغيب، وعلى أغلب الظن أنه غادر أورشليم إلى وطنه، تماماً كمــا صــنع تلميذا عمواس في ذلك اليوم أيضاً، واللذان عادا قبل المساء مُــسرعين إلى العلية بعد ظهور الرب لهما.

أما الأبواب المغلقة والخوف من اليهود، فهذا إعلان صريح عن غيــاب الإيمان، وغياب مفهوم القيامة وقوتها جملة وتفصيلاً، بل وغيــاب عنــصر الرجاء، الأمر الذي نلمسه بشدة في حديث الرب مع تلميذي عمــواس، الذي يعطينا صورة لما كان يدور الحديث حوله في العلية قبل ظهور الرب.

«**فجاء يسوع ووقف في الوسط**»:

دخل الرب إلى حيث كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مغلقة عليهم. هــذا هو أول مفهوم لطبيعة القيامة، فالقيامة من الموت لم تعد بعد تخضع لكل ما هو خاضع للموت؛ أي الطبيعة البشرية بكل القوانين التي تحكمها، فالجسد القائم من الموت هو جسد روحاني له عالَمُه الروحاني، وله قوانينه الروحية.

ظهور الرب *وسط* التلاميذ ألغى الأولويات والترتيب والكرامات في حضرة الرب، فالكل في الحضرة الإلهية واحدٌ! ومن ذا الذي يتجرأ في حضور الله ليرى نفسه أعلى من أخيه؟

«سلام لكم»:

ليست هي تحية بل عطية: «**سلامي أعطيكم**»، وليس كما يعطي أهل العالم السلام بعضهم لبعض، أو كما يعد الرؤساء شعوبهم بالسلام وهم أحوج الناس إليه! سلام المسيح هنا، أنشأ فيهم الفرح في الحال والتو: «**ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب**». وهكذا ابتدأ يُداخلهم الفرح وسط الخوف الشديد الذي كان يعتريهم من اليهود. هذه هي أول مفاعيل القيامة وأشدُّها وأكثرها دواماً: «**ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم**». إنها بهجة القيامة، أمضى أسلحة الإيمان التي نغلب بها كل أهوال العالم ومخاوف الشيطان ومقاومة الأشرار. فالمسيحي الذي قام مع المسيح لا يعود يرهب الموت وكل تهديدات الموت، لأن حياته ممتدة فوق الموت وأهواله، لأن سيرته مكتوبة في السماويات.

« ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب»

مسيح القيامة هو مسيح الصليب: «**لا تخف. أنا هو الأول والآخر، الحي وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين**».

لا يمكن أن تفهم القيامة إلا على توقيعات الصليب وجروحه وموته، ولا يمكن أن يُفهم عذاب الصليب ومعنى الموت إلا على نور القيامة.

فالمسيح الذي مات مصلوباً أمام أعينهم، وكأنه قُضي «**قُطع من أرض الأحياء**»؛ ها هو الآن بجروحه المميتة، واقف أمامهم حياً في ملء قوة الحياة. والموت الذي تراءى لأعينهم أنه ساد عليه وأنزله القبر؛ طرحه المسيح عنه وداسه، وقام بذات الجسد وذات الروح شامخاً فوق الموت ومن له سلطان الموت.

جروح اليدين والرِجلين لم تُشفَ، ولا الجنب المفتوح التأم؛ بل احتفظ المسيح بها كعلامة الموت الذي جازه، احتفظ بها كلها كما هي؛ لأن الجسد الذي قام لم يعد يستمد حياته من عناصر الحياة على الأرض، بل من فوق، من الحياة التي له خاصة.

سِماتُ الموت التي تقبَّلها الرب في الجسد، صارت هي سمات القيامة والمجد، ومن جروحه وجنبه المفتوح يخرج لنا الآن الشفاء والعزاء والحياة.

وليلاحظ السامع أن المسيح دخل إلى حيث كانوا مجتمعين والأبواب مغلقة، هذا شأن جسد القيامة، الجسد الجديد للخليقة الجديدة الروحانية. ولكن المسيح، وبالجسد القائم من الموت، وبمواصفاته الجديدة غير المنظورة ولا الملموسة، أخضع جسده للرؤيا واللمس لتصير لدى التلاميذ، وبالتالي لدى الكنيسة، الخبرة الحقيقية والصادقة بحقيقة القيامة بالجسد وصدقها: «**وأعطى أن يكون ظاهراً ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم؛ لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات**».

«**ففرح التلاميذ**»:

هنا الفرح هو من نوع خاص جداً، ولا يمتُّ بصلة إلى أيٍّ من أنواع الفرح التي نعرفها واختبرناها على الأرض. هذا الفرح هو فرح الروح بالروح، وهو ينسكب على النفس نتيجة استعلان فائق، وهو هنا المسيح نفسه. ولهذا الفرح مفاعيل ثلاث: الأول هو: توقف الحواس الجسدية بما فيها الخوف والاضطراب والحزن وكل المُزعجات. والثاني هو: انفتاح النفس على المجال الروحي بلا عائق، وتحس بالمسيح الواقف أمامها في الوسط. والثالث هو: تقبُّل النفس، بقدر استعدادها: من المسيح سلاماً ونوراً وسكينة.

هذا الاختبار الروحي نفسه يمكن أن نحصل عليه أثناء تأملنا في الحقائق الإنجيلية إذا بلغ الإيمان التصديق الكلي لكل ما يقول الرب.

وهذا الفرح المُنسكب علينا من الله هو مصدر قوة لا يُستهان بها، وقد عبَّر عن ذلك العهد القديم في منتهى الوضوح: « **لأن فرح الرب هو قوتكم**».

« **فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم، كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا. ولما قال هذا، نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس**».

المسيح هنا يُعيد إعطاءهم السلام؛ فالسلام الذي أعطاهم في البداية في حديث الوداع هو لحساب أنفسهم الخائفة الجزعة، ليصيروا مُهيَّئين لتحمُّل الرسالة بأعبائها الخطيرة. أما عطية السلام الثانية هنا فهي لحساب الإرسالية، هي ذخيرة وأمانة لكي كما قبلوا السلام لحساب الآخرين؛ يُعطونه للآخرين من عند الله والمسيح.

المسيح يُكلفهم بمهمة الإرسالية، لا كأنها عمل منفصل عنه، يقومون به

بأنفسهم؛ بل كعمل ممتد منه ومتصل به، ومُكمِّل له. فإرسالية المسيح للرسل تقوم على أساس ونمط وقوة إرسالية الآب للمسيح، والتي هي أساس الإنجيل كله. وهو ما أكَّده المسيح في صلاته الختامية:«**كما أرسلتني إلى العالم؛ أرسلتهم أنا إلى العالم**».

وعندما يقول المسيح: «**كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا**»، فهنا ليست المساواة في الإرسالية هي المقصودة؛ بل، الامتداد، والمؤازرة، والديمومة. ويلاحظ هنا أنه بعد أن أعطاهم التكليف بالإرسالية، قدَّسهم بنفخة الروح القدس للعمل، باعتبار أن الإرسالية عمل مقدس، أي خاص بإعلان الله: «**لأجلهم أقدس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مُقدسين في الحق**». فالمسيح هنا يعطيهم الروح القدس، وهو روح التقديس والشهادة معاً، لأنه هو الناطق فيهم والذي يعرفهم الحق. وعلينا أن نلاحظ الصلة بين الإرسالية وعطية الروح القدس للتلاميذ، أنها صلة متبادلة وجذرية. فلا إرسالية بدون عطية الروح القدس؛ ولا عطية الروح القدس دون كرازة وشهادة.(٤)

(٤) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا الجزء الثاني ص١٢٥٢

الاثنين من الأسبوع الأول (شم النسيم)

(لوقا٢٤: ١٣- ٣٥)

[وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً، اسْمُهَا عِمْوَاسُ. وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ. فَقَالَ لَهُمَا: مَا هذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ؟ فَأَجَابَ أَحَدُهُمَا، الَّذِي اسْمُهُ كَلْيُوبَاسُ. وَقَالَ لَهُ: هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحْدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ؟ فَقَالَ لَهُمَا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالاَ: الْمُخْتَصَّةُ بِيَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَاناً نَبِيًّا مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ الْمَوْتِ وَصَلَبُوهُ. وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ. بَلْ بَعْضُ النِّسَاءِ مِنَّا حَيَّرْنَنَا إِذْ كُنَّ بَاكِراً عِنْدَ الْقَبْرِ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْنَ جَسَدَهُ أَتَيْنَ قَائِلاَتٍ: إِنَّهُنَّ رَأَيْنَ مَنْظَرَ مَلاَئِكَةٍ قَالُوا إِنَّهُ حَيٌّ. وَمَضَى قَوْمٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَوَجَدُوا هكَذَا كَمَا قَالَتْ أَيْضاً النِّسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَرَوْهُ. فَقَالَ لَهُمَا: أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ. ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوُ

الْمَسَاءِ وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ. فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا. فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزاً وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا، فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا، فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِباً فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟ فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسِمْعَانَ! وَأَمَّا هُمَا فَكَانَا يُخْبِرَانِ بِمَا حَدَثَ فِي الطَّرِيقِ، وَكَيْفَ عَرَفَاهُ عِنْدَ كَسْرِ الْخُبْزِ.]

تلميذا عمواس

قصة تلميذي عمواس لا تقلُّ جمالاً عن قصة الميلاد، وكلاهما للقديس لوقا فقط. وهو هنا يُقدِّم لنا حادثة فريدة عن القيامة انفرد بها هو وحده دون جميع الأناجيل، وهي قصة تلميذي عمواس. فتلميذا المسيح ـ أحدهما اسمه كليوباس ـ كانا عائدين من أُورشليم بعد هذه الأخبار المذهلة قاصدين قريتهما عمواس، وإذ بهما يجدان مَنْ يفاجئهما ويسألهما عمَّا يتباحثان، فراجعاه في حزنٍ واندهاش: وأين كنت أنت؟ هل كنت متغرِّباً وحدك في أُورشليم؟ ألم تسمع بالأهوال التي حدثت؟ وهنا يحدث العجب، فالمسيح يظهر لهما بهيئة رجل غريب متغرِّب كان في أُورشليم ويسألهما عمَّا حدث.

والقصة تحوي أهم حدث بالنسبة لفهم مسيح القيامة، فهو قادر أن يظهر وقادر أن يلغي ظهوره، يقابل ذلك عين الإنسان التي ترى فهي قد تنفتح من قِبَل الله لترى ما لا يُرى، أو تنغلق فلا ترى شيئاً من أمور الروح.

ولكن المسيح لم يكن مسروراً أبداً لمَّا وجدهما متعثّرَيْن في قبول خبر القيامة الذي أتت به النسوة رسمياً لتخبرن به التلاميذ والرسل، حتى أنه من حزنه نعتهما بالغباء وبطء الإيمان بالقلب. وعليه أخذ يفتح فهمهما قليلاً قليلاً من موسى والأنبياء والمزامير، نبوَّات تحكي عن كل ما سمعاه ورأياه من جهة المسيح. ولمَّا دخلا القرية ترجَّياه أن يأتي ويبيت معهما، فوافق وعند كسر الخبز أعلن شخصه وفي الحال اختفى عنهما.

وقد التقطت الكنيسة من هذه القصة مفهوم حضور المسيح في الإفخارستيا في لحظة كسر الخبز، وهي من أقدس اللحظات في القداس. وهي بالتحديد أثناء القسمة حيث يقسِّم الكاهن القربانة.

«وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ، اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا. وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ».

كان التلميذان يسردان معاً أخبار قيامة المسيح بعد الصلب وكان ذهنهما منشغلاً حزيناً، وإذا بالمسيح يمشي بجوارهما ثم ينضم إليهما ولكن أُمسكت أعينهما عن معرفته. وهنا في الحقيقة ينبغي أن نوعِّي القارئ بما يحدث عند ظهور المسيح أو عدم ظهوره. فالأمر يتعلّق بقدرة الوعي الذاتي للإنسان على الانفتاح لاستخدام رؤيته الروحية الممنوحة له من الله. فالمسيح ممكن أن يُظهر ذاته أو يلغي هذا الظهور بناءً على قدرته في ذلك، ولكن يمكن أيضاً أن يفتح وعي الإنسان أو يغلقه هو بحسب إرادته كما حدث هنا مع تلميذي عمواس، إذ حدث ظهور المسيح وعدم فتح الوعي

عند التلميذين، وعند كسر الخبز فتح أعينهما ليرياه حاضراً بصفته في وضع القيامة، وفي الحال اختفى. «**حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلِّص**».

«**فَقَالَ لَهُمَا: مَا هذَا الْكَلاَمُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتُمَا مَاشِيَانِ عَابِسَيْنِ**».

كان كليوباس مندهشاً كيف أن إنساناً في أُورشليم لم يعرف ما حدث من جهة " يسوع الناصري "، وهو كان في عُرفهما نبيًّا مقتدراً في الفعل والقول أمام الله والناس. والعجيب أن نفس التلميذين لا يعرفان معنى الذي حدث ولا سببه بالنسبة للحكم بالموت والصلب، ومن كلامهما يتضح لنا أن شيئاً مهماً جداً قد حدث ولكن لا يعلمان "كيف"؟! وهنا واضح اهتمام رؤساء الكهنة والحكّام بما حدث لنبي مقتدر قولاً وعملاً أمام الله والناس.

«**وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. وَلكِنْ، مَعَ هذَا كُلِّهِ، الْيَوْمَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مُنْذُ حَدَثَ ذلِكَ**».

إن كلام التلميذين يُحسب تسجيلاً صادقاً لمشاعر التلاميذ حتى تلك اللحظة. ويعود كليوباس ليقول نفس المشاعر التي قالتها النسوة: "قد حيرننا". وحيرة التلميذين وبقية التلاميذ معهما هي نوع من قساوة القلب بحسب كلام المسيح، لأنه كان واجباً عليهم أن يفتِّشوا الكتب ليعرفوا ماذا يحدث أمامهم. وبالرغم من رؤيتهم القبر فارغاً بما لا يُعطي للشك مكاناً أنه قام، إلاَّ أنهم لم يمتد إيمانهم ليكتشفوا الحقيقة. أمَّا الكلمة الفاصلة في هذا القول فهي: «**نحن كنَّا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل**»!! لذلك كان حزن التلميذين شديداً، فهو رجاء خاب وأمنية سقطت بدون تحقيق.

وهكذا تبدأ دينونة التلاميذ في نظر المسيح، ونعتهما بالغباء وقساوة القلب في الإيمان، لأن التعليم كله عن الفداء يقوم أساساً على القيامة، والقيامة أُذيعت أول ما أُذيعت بواسطة الملاك عند القبر للنسوة ويشهد بذلك القبر الفارغ. فكان المسيح ينتظر أن يؤمن التلاميذ بالفادي الذي مات على الصليب أمامهم ودُفن وقام. لأن تحقيق الرؤيا العينية ليس أساساً للإيمان: «**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**»، فكان مفروضاً أن يؤمن ق. بطرس بما رأى وبما عاين وما سمع، وكذلك النسوة وبقية التلاميذ لأن الإيمان القلبي لا يطلب العيان، فانتظار الرؤية العينية يُضعف مستوى الإيمان.

«**فَقَالَ لَهُمَا: أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ**».

توبيخ المسيح العنيف لهما يُظهر لنا بوضوح فعلاً أن مستوى إيمانهما مع بقية التلاميذ كان منحطّاً جداً. فكل ما سبق من تعاليم المسيح التي علَّم بها عمَّا سيكون وتوضيح عمليات الآلام والتسليم والصلب والموت التي أوضحها عدَّة مرَّات؛ ثم كل الحوادث التي يقولون عنها سبق وقال لهم، كيف حينما أتت لا تكون هي بحد ذاتها كفيلة أن تحرِّك إيمانهم؟ ثم بقية الكتب والآيات التي فتح المسيح سرَّها لهم كيف ولا آية منها توقظ قلوبهم وتفتح عيونهم؟ هذا الشيء أحزن قلب المسيح جداً.

«ثُمَّ اقْتَرَبُوا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ إِلَيْهَا، وَهُوَ تَظَاهَرَ كَأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ إِلَى مَكَانٍ أَبْعَدَ. فَأَلْزَمَاهُ قَائِلَيْنِ: امْكُثْ مَعَنَا».

ألزما الرب الإله يسوع المسيح، ألزماه بالدخول إليهم فدخل. وهكذا أعطى المسيح لأول مرَّة قيادته لآخر ليلزمه بالدخول وقبول الضيافة، وكأن المسيح كان عطشاناً إلى هذا السلوك والوعي البسيط المبارك، فَقَبِلَ في الحال ودخل وبارك أول بيت مسيحي في العالم حينما كسر فيه الخبز فاستُعلن مسيح الله لأول مرَّة في الإنجيل!! «**هنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشَّى معه وهو معي**». هذا الحبيب وقد بدأت حلاوة حبه ووداعة ألوهيته تتبيَّن لمحبِّيه. ولكن كان لابد أخيراً من أن يختفي!!

وكانت هذه العزومة هي أول مائدة أغابي فيها سر المسيا وإعلانه.

أمَّا اختفاؤه فهو الوجود السرِّي السمائي الذي تنعم به أرواحنا دون رؤية، هنا عمل ابن الله الحقيقي من فوق، حيث لا يزال هو الراعي الصالح والدجاجة التي احتفظت بأولادها الصغار تحت أجنحتها السماوية!![٥]

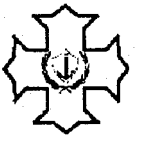

(٥) من كتاب الإنجيل بحسب القديس لوقا ص٧٣٨

فـرح القيامـة

المسيح قام/ حقاً قام.

هذه هي التحية التقليدية في الكنيسة التي تُعبِّر عن القيامة.

وللأسف لا تأخذ هذه التحية مكانها الواجب، سواء في الإيمان، أو في الإحساس والشعور، ولا في الاستجابة. أصبحت تحية تكاد تكون باردة: إخريستوس آنستي، أليثوس آنستي، تقال ببساطة. ولكن لا، لم تكن هذه التحية يوم أن قيلت كخبر بمثل هذا الفتور أو بهذه البرودة، فيوم أن سمع التلاميذ أن المسيح قام؛ كان هذا الخبر حدثاً لا يمكن أن نصل الآن إلى عمقه.

تصور معي، التلاميذ، وقد استودعوا معلمهم القبر بعد الصليب والموت، بحزن، مُنتهى الحزن. يأس، مُنتهى اليأس. خوف، مُنتهى الخوف. حزنٌ على آمال ضاعت، ويكفي أن تقرءوا خبر القيامة في إنجيل لوقا، فيما يختص بتلميذيّ عمواس. حتى أن السيد نفسه عندما قابلهما في الطريق قال لهما: «**ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين**». لقد ملأت العبوسة قلب التلاميذ، وذهب كل واحد منهما إلى قريته. الحزن واليأس على آمال ضاعت، والحسرة على الأشياء التي سبق وأن تركوها، كما قال القديس بطرس. أصبح المستقبل مظلم مخيف، لأنه: «**إن كانوا قد فعلوا هذا بالعود الرطب؛ فكم يكون بالتلاميذ!**»

كيف تقبل التلاميذ والأتباع خبر المسيح قام؟

لقد اهتزت قلوبهم اهتزازاً لا يمكن وصفه. فمهما حاولنا أن نضع

أنفسنا مع التلاميذ أثناء تلقيهم خبر القيامة، فلن نستطيع أن ندرك فرحة قلوبهم، شيء يفوق العقل، يفوق الشعور. فنحن نعلم الآن، كحقيقة واقعة أن المسيح قام؛ ولكن الأمر لم يكن هكذا أمام التلاميذ وقتها.

يا للفرح الذي لا يمكن أن يتصوره عقل عندما يصلهم فجأة الخبر: المسيح قام: «ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب». يا للفرحة المكبوتة التي عبَّر عنها يوحنا الرزين في مسابقة جري مع بطرس، لم يعمل حساباً للأصول أنه المتقدم في التلاميذ. عندما سمع الخبر نسي كل الأصول. الفرحة تُرجمت إلى سباق عدوٍ بين التلاميذ!

ولكن، أنا أريد أن أنقل الإحساس بالفرح هنا لكم، فرح تجاوز كل حدود العقل والتعقل، فرح مُفْرِطٌ، والفرح المفرط هو الذي يوصف بالدهش، والذي يُخرج العقل عن حدود رزانته.

فإذا قلنا لبعضنا البعض تحية القيامة: "إخريستوس آنستي، آليثوس آنستي"؛ فهل نشعر ولو بقليل من هذا الفرح؟

والآن كيف انتهى بنا خبر: المسيح قام، إلى تحية تخلو من كل فرحة ؟!

يا ليتنا نعود نأخذ القيامة من جديد كخبر، والخبر واسطة إيمان. يا ليتنا عندما نسمع إخريستوس آنستي ولو ١٠٠ مرة في النهار أن تهتز قلوبنا ولو إلى لحظة لتشعر بهذا الدهش، وبها الفرح المُفْرِط. **لماذا؟** لأن الحزن قد تبدد نهائياً، لا من قلب التلاميذ فقط، ولكن من على وجه الأرض.

أتمنى وأتوسل إلى الروح القدس أنه حينما نسمع خبر القيامة مقروءاً، أو مسموعاً أن تهتز قلوبكم مثل فرحة التلاميذ. يجب أن تفرحوا، بل يتحتم أن تفرحوا، ومن المستحيل ألا تفرحوا. الحزن مضى. في تسبحة القيامة، في لحن تين ناف، يقول الملاك للنسوة: لماذا تبكين؟ قد انقضى زمان النوح. اخريستوس آنستي، ترجمتها الأولى الفورية: لا حزن بعد اليوم. فإن رأيت نفسك حزينة؛ فاعلم أنك أنت لست في القيامة.

كل من يعيش في القيامة؛ يعيش في فرح لا يشوبه حزن، مهما بلغت خطيتك إلى كل مبلغ. أنا أسأل هذا السؤال: هل ممكن أن خطيتك تلغي القيامة؟ ثم، هل لأنك خاطي، فلا تكون القيامة لك ؟ مستحيل، لأن خبر القيامة المفرح لا يُفرِّح إلا قلب الخاطي، لأن لا خطية بعد اليوم. قد مات إنسان الخطية، وهوذا قد قام بلا خطية.

ولكن، كلمة: لا حزن، لا تكفي. أنا أطالب بالفرح، وفرح حقيقي على مثال فرح التلاميذ الذي أوصلهم إلى الدهش أي الفرح المفرط.

كان التلاميذ يلفهم الحزن، كان حزنهم يكسر القلب، لا أمل ولا رجاء، يأس من كل جانب: ماذا يقولون لأهلهم عن المعلم الذي تبعوه وأخيراً يُصلب ويموت ويُدفن؟ ولكن، فجأة إذ بالخبر يسري من تلميذ لآخر: اخريستوس آنستي، المسيح قام. أحقاً قام الذي مات ودُفن؟! يا للمجد، يا للرجاء، يا للفرح. إذن قد تبدد اليأس وانتهى الحزن. إذن المسيح حيٌ بعد، يا لفرحتنا ويا لرجائنا الذي لا ينتهي، إذن لنا الملكوت،

إذن نحن تلاميذ مرة أخرى. لقد انقلب اليأس الذي لا يُطاق إلى رجـــاء لا يُحدُّ لأن خبر القيامة صار يقيناً.

يا أحبائي، أيمكن أن نستقبل خبر القيامة كما استقبله التلاميذ، ولـــيس كتحية باردة جافة، وكأنه لا يوجد بها أي خبر؟ أتوسل إلى الله، وأتوســـل إليكم أنه حينما ترن كلمة: إخريستوس آنستي، في آذانكـــم أن تـــذكروا فرحة التلاميذ الذين تحوَّل يأسهم المطلق إلى رجاء لا ينتهي، ثم أن ينتـــهي إليكم نفس هذا الفرح حياً فعَّالاً في قرنكم ال٢١.

السماء والأرض تزولان؛ ولكن الرجاء في قيامة المسيح لا يزول. أتوسل إلى الله أن تمتلئ قلوبُكم بشجاعة القيامة التي لا يطأها الخوف قط، بل هي التي تطأ كل ضعف وخوف وموت. شجاعة بالإيمان تنفتح لها القبور كما سبق وانفتحت وقام منها موتاها.

يوحنا الحبيب عندما سمع خبر القيامة عرف أن الحـــب لا يمـــوت، لأن المُعلِّم كان يتكلم عن الحب الذي فيه.

خبر القيامة يؤمِّن المحبة. المحبة إن دُفنت في القبر؛ تقوم في اليوم الثالـــث. حينما قام الرب أمَّن كل فعل محبة. لذلك حِبْ ولا تخفْ، وأعطِ قلبَك مع حبِك ولا تخفْ، حتى ولو وُجد حبُك في وسط من لا يُقيِّم الحب، ومـــع أناسٍ لا يدركون قيمة المحبة. لا تخف؛ سيرتد الحب إليـــك مـــضاعفاً؛ لأن معلمَ الحبِ ومصدره الذي منه نستقي ونسقي كل محبة قام من القـــبر في اليوم الثالث، فأمَّن المحبة ضد الفساد وضد أي خسارة، مهما كانت.

صـــــلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا من فرَّحت البشرية كلها في تلاميذك،

يا من رفعت الغطاء عن القلب الحزين الباكي؛ وأعطيتنا فرحاً لا يُنـــزع منـــا بقيامتك؛

ها أنت، يا ربي، قد وطئت الموت بموتك وقيامتك، وأعطيتنا حياة أبدية من بعد موتنا.

نشكرك، يا إلهنا، لأنه من الآن لا يوجد يأس، لأنك رفعت كل يأس، وبددت كل خوف، خوف من موت ومن كل ما يؤول إلى الموت.

كم نشكرك يا حبيبنا يسوع، من أجل قيامتك التي بها أثبت أن المحبة لا تسقط أبداً.

أعطنا الشجاعة، كل الشجاعة أن نحب ولا يكون لمحبتنا أبداً حدود أو تحفظ.

لتدُمْ يا رب، قيامتك وفعل قيامتك في كنيستك وقلوب عبيدِك من الآن وإلى الأبد. آمين.[٦]

---

(٦) عظة القيامة سنة ١٩٧٤.

(يوحنا٢٠: ١٩- ٣١)

[وَلَمَّا كَانَتْ عَشِيَّةُ ذلكَ الْيَومِ، وَهُوَ أَوَّلُ الأُسْبُوعِ، وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَميذُ مُجْتَمعينَ لسَبَبِ الْخَوْفِ منَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ. وَلَمَّا قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَميذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سَلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا». وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ». أَمَّا تُومَا، أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ. فَقَالَ لَهُ التَّلاَميذُ الآخَرُونَ: «قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ». وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلاَميذُهُ أَيْضاً دَاخِلاً وَتُومَا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ، وَوَقَفَ فِي الْوَسَطِ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمْ». ثُمَّ قَالَ لِتُومَا: «هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِناً». أَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَإِلهِي». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا». وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلاَميذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ].

المسيح قام- حقاً قام

ثمانية أيام مضت على خبر القيامة بتوكيدات وشهادات مـــن ملائكـــة وشهود عيان كثيرين: المجدلية والنسوة وتلميذا عمواس والأحـــد عـــشر. وبالرغم من ذلك بقى توما وحده مصمماً على عـــدم قبـــول القيامـــة إلا بشروطه الخاصة. وعلى العموم نحن نجد أن هناك تدرجاً في الإيمان بالقيامة: **الدرجة الأولى:** يوحنا يؤمن بدون أن يرى، يكفيه رؤية الأكفان الموضوعة في القبر الفارغ. **الدرجة الثانية:** مريم المجدلية تؤمن بالقيامة دون أن تتحقق من شخصية الرب، ولكن بمجرد تذكُّر صوته. **الدرجة الثالثة:** التلاميـــذ الأحد عشر، آمنوا عندما رأوا وجسوا لحمه وعظامه وجروحه. **الدرجـــة الرابعة:** توما، بعد أن استوفى لنفسه شرط الإيمان بوضع أصبعه في الجروح. ثم أخيراً: **الدرجة فوق الأولى:** وهي التي أعطى لها الرب الطـــوبى، وهـــي إيمان الذين صدقوا القيامة بالخبر وحسب. (٧)

الإنجيل لم يذكر لنا حادثة توما هذه المخجلة لكي يحطَّ من قدر توما؛ بل لكي يوضح صعوبة الإيمان بالقيامة. فأصبح الإيمان بها يحفُّه القبول من الـــيمين بالمديح، كما يحفُّه الشك من الشمال بالتوبيخ. أما الطوبى، أي السعادة، فهـــي نصيب الذين يؤمنون ولا يطلبون شهادة العيان، لأن الحق يضيء قلوبهم.

---

(٧) كتاب القيامة والصعود مقالة "أحد توما" ص١٨١

إذاً، فرواية توما لا تخص توما، بل هي حدثت لتكون ركناً ركيناً في استعلان شخص المخلص، كجزء حي في درجات سلَّم استعلان قيامة المسيح، كطَوْق نجاةٍ للذين ستعصف بهم شكوك مثل شكوك توما!

وق. يوحنا يقدم لنا رواية توما على التوازي مع رواية تلميذي عمواس التي قدمها القديس لوقا. وكل من الروايتين حَظت بظهور الرب. وكلٌّ منهما حَظِيَ بالتوبيخ المناسب.

«قد رأينا الرب»

نفس ما قالته المجدلية: «قد رأيت الرب».

لم تقع هذه البشارة المفرحة عند توما موقع التصديق، وذلك عن قصد من النعمة، ليكون أباً ومرشداً لكل الذين صاروا بعقولهم قوَّامين على قلوبهم، ومدوا أيديهم وأصابعهم عِوض البصيرة ليتحسسوا بها طريق الحق. لقد صار توما في تاريخ الإيمان إمام الشكَّاكين. ويا ليت كل من يشكُّ، ينطق بالنهاية بما نطق به توما.

لقد وقف توما على قمة الشكاكين مصمماً على حتمية أن تكون القيامة بنفس الجسد الذي تمزق على الصليب، وأن يكون على مستوى لمس اليد ووضع الأصبع في نفس الجرح النافذ وفي نفس الجنب المطعون. ولكن لأن القيامة التي قامها الرب هي قيامة حقيقية بالجسد الميت فعلاً؛ لذلك لم يمانع الرب أبداً من تحقيق شرط توما وظهر له خصيصاً ليكمل له إيمانه هذا. فصار إيمان توما واعترافه المفاجئ: «**ربي وإلهي**» البرهان الأخير إزاء كل شكوك بأن

المسيح قام حقاً، وبأنه قام بجسده الذي تمزق على الصليب هو هو.

«فقال لهم: إن لم أُبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أومن».

جروح الصليب مميتة، فكيف تصبح علامة حياة؟ إنه تعجيز! ولكنها هي حقاً معجزة! توما يطلب المستحيل بالعيان واللمس، يطلب اقتران الموت بالحياة والحياة بالموت، فكان له ما شاء! إنها حقاً القيامة!

توما أراد أن يمسك بنار اللاهوت، فمسك و لم يحترق. توما أراد أن يُمثّل بيده طعنة الحربة. إن أهوال الصليب ضيَّعت من عقل توما كل معقولية الحياة من بعد الموت، لقد أصابت المسامير فكر توما بأكثر مما أصابت به يد الفادي. الفادي قام ويداه في ملء الحركة والحياة، وفِكر توما تسمَّر بالموت وبقى بلا حِراك. الجنب المفتوح بالحربة صار كهوة في إيمان توما، تفصل الميت عن الحياة، مع أن الدم والماء النازفين منه، كفيلان بأن يُحييا كل الأموات.

«لا أُومن».

لقد جازف توما بكل إيمانه، لقد وضع إيمانه بالمسيح قائماً من الموت في كفَّة، ورؤية عينيه ولمس يده لآثار المسامير وطعنة الحربة في الكفة المقابلة! لقد ظن توما أن الإيمان بالقيامة رهن نظر العين ولمس اليد.

ولكن المسيح نفسه عندما ظهر للتلاميذ المجتمعين **«أراهم يديه وجنبه»**، فتوما وإن كان يُطالب بحقه الرسولي، كتلميذ له، في الرب المُقام؛ إلا أن ما

كان ينقص توما حقاً والذي وبَّخه المسيح على فقدانه، فهو الإيمان: «**ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام**».

«**فجاء يسوع والأبواب مغلَّقة، ووقف في الوسط**».

كان هناك نوع من الترقب لمجيء يسوع. فمن أسبوع كان التلاميذ قد حازوا على عطية الروح القدس الكفيل أن يُشعرهم "بالأمور الآتية" وخاصة فيما للرب ومجيئه. جاء يسوع ووقف «**في الوسط**»، صحيح أنه جاء خصيصاً لتوما، ولكن حينما ظهر كان ظهوره للجميع والجميع له. ليس كبير أو صغير بينهم، فالكل فيه كبير، والكل فيه كريم ومُكرم.

«**وقال سلام لكم**».

ليست هي مجرد تحية، ولكنها وديعة يستودعها الرب لكنيسته «**سلامي أعطيكم**»، فالرب لا يُقرئُ السلام، بل يعطيه، بل يسكبه ويُبثه فينا بشاً، ليسري في القلوب والأفكار والأرواح، ليبقى ويدوم ويترسخ داخل النفس، تلتجئ إليه يوم العاصف فتجده، وتستغيث به في الضيقة فتتسربل به.

«**ثم قال لتوما: هات إصبعك إلى هنا، وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً**».

عجيب أن الرب يعيد نفس الكلمات التي نطق بها توما وهو يتحدث مع زملائه، فكأن الرب كان واقفاً يستمع إلى شروط توما المُغلَّظة، لم يعاتبه ولا حتى آخذه، بل بلطفٍ يفوق كل لطف، أخضع جسده الذي ترتعب منه الأجناد السماوية لرؤية عين توما وللمس أصابعه. عرَّى

جروحه، وجعل جنبه المفتوح في متناول يده. وهكذا احتفظ الرب بعلامات الموت ليجعلها برهان الحياة، وجعل آثار الذلة والانسحاق لتكون هي أسباب المجد.

ولكن تُرى ماذا كان وقع كلمات الرب على توما، حينما ردَّد الرب المُقام على مسامعه كل الكلام والشروط التي قالها للتلاميذ؟! أعتقد أنها فوق أنها أخجلته، فقد جعلته في غيرِ حاجة لأن يمدَّ يده أو إصبعه. ولكن حين مدَّها وحينما لمس إطاعة للأمر الذي صدر له، كان قد بلغ الإيمان في قلبه حدَّ الصراخ والشهادة. خبرة العين الروحية ابتلعت خبرة عين الجسد، ولمسة الروح في القلب طَغتْ على لمسة اليد.

«لا تكن غير مؤمنٍ، بل مؤمناً»

لم يكن توما غير مؤمن، وإلا لو كان هو فعلاً هكذا؛ أي غير مؤمن، لما ظهر له الرب على الإطلاق. ولكن لما استبد به الشك، كونه استُثنِيَ من رؤية الرب، كان يطلب حقه في الرؤية العينية، إمعاناً في الوثوق الذي يطلبه. بمعنى أن توما كان في طريقه إلى الإيمان في حالة حصوله على ما احتاجه إيمانه: «**أومن، يا سيدي، فأعن عدم إيماني**».

الرب تنازل إلى مستوى شروط توما، ليقطع على كل توما، وعلى كل من يذهب مذهبه الطريق إلى عدم الإيمان.

«أجاب توما، وقال: ربي وإلهي»

هذه هي قمة الاستعلانات، بل هي قمة إنجيل يوحنا. والذي يزيد من

قيمة هذا الاستعلان الذي استلهمه توما من رؤية الرب المُقام، أنه جاء بعد أسبوع كامل من عذاب الشك وليل الظنون. فهو، إن كان قد تأخر عن التلاميذ ثمانية أيام في التعرف على القيامة وتصديقها؛ إلا أنه سجَّل للكنيسة أول اعتراف علني بألوهية المسيح، خرج منه بتلقائية تُعبِّر عن الحق الذي رآه كاعتراف إيمان بلغ الذروة، ليس في كل الأناجيل ما يُضاهيه.

إن ظهور الرب بحال قيامته كان كفيلاً بأن يُغيِّر لا فكر توما بل روحه وحياته. إن ظهور الرب قوة، فالقيامة هي المجال الإلهي الفائق، الذي إذا دخله الإنسان يفقد رؤيته لنفسه والعالم، وكأنها أقنعة، يخلعها ليرى الحقيقة الدائمة، ولا يعود يرى نفسه إلا في الله: "*ربي وإلهي*".

إنه يرى نفسه فيه، ويراه هو في نفسه، وكأنه يُردد بلسان عروس النشيد: «**أنا لحبيبي وحبيبي لي**». لقد صار له المسيح وصار هو للمسيح، فاستُعلن له المسيح في ذاته ربَّاً وإلهاً. لقد تعرف على الله في المسيح، وتعرَّف على المسيح في الله. وأخيراً، أدرك توما أن المسيح ليس لِلمس اليد أو نظر العين!! فهو الملء الذي يملأ الروح والبصيرة والقلب، الذي لا تسعفه عين ولا يحيطه فكر.

«**قال له يسوع: لأنك رأيتني يا توما، آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا**»

لقد أمَّن المسيح على اعتراف وإيمان توما: «**ربي وإلهي**»، ووافقه على إعلانه بلاهوته. فلو لم يكن المسيح إلهاً بالحقيقة ما كان قد ارتضى بهذا الإعلان. لقد رأى توما المسيح كما يريد المسيح أن يُرى.

وهنا ظهرت رنَّة التوبيخ والعتاب في صوت المسيح لتوما، لأنه ما كان لائقاً بتلميذ عاشَرَ الربَ وسمع منه أنباء القيامة العتيدة، بل ورأى قوتها عياناً عند قبر لعازر، ثم بعد ذلك لا يؤمن، ولا يصدق من رأى وآمن.

ولكن شكراً لك، أيها القديس توما، لأن بشكّك ورَّثتنا الطوبى، بل أحسن الطوبى: «..**الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك، وإن كنتم لا ترونه الآن، لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد**».[٨]

(٨) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص١٣٠١.

بين الإيمان والرؤيا

«طوبى للذين آمنوا ولم يروا»

لا يزال عالقاً في أذهان كثير منا أن الإنسان الذي يكشف الله عن عينيه ليرى ملائكة وقديسين أو شخص الرب نفسه، يكون ذا امتياز فائق، ومن أجل هذا تلتهب قلوبنا في شوق ورجاء كثير كل يوم أن نؤهَّل لرؤية وجه الرب أو أن نقترب إلى استعلانه لنستمتع بأقصى سعادة نتصورها.

وفي الحقيقة لم يترك الرب لنا هذا المجال بهذه الصورة المحزنة، والتي يبدو فيها الحرمان من رؤية المسيح هو في الغالب الصورة العامة بين المؤمنين.

لذلك حرص الرب عندما شك توما في قيامته من بين الأموات أن يوضح له ولنا أن إمكانية الرؤيا لقيامته ولشخصه أمر ميسور، وهو يعطيه لمن يشاء، وقتما يشاء بحسب الحاجة الماسة إلى هذا الاستعلان.

وعلى أساس ذلك ظهر الرب في اليوم الثامن من قيامته خصيصاً لتوما، وأعطاه كل ما ألحَّ عليه حتى يكتمل إيمانه ويكتمل إيمان الرسل جميعاً الذين ستوضع عليهم مسئولية الكرازة، فقال له: هات أصبعك يا توما والمس جروحي، وهات يدك وضعها في جنبي «**ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً**»، ثم استطرد الرب مباشرة- دون أن يوبخ توما على هذا التخاذل في الإيمان بقيامة المسيح، ووضع شروط الرؤيا العينية واللمس باليد للإيمان- قائلاً: «**لأنك رأيتني يا توما أمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا**».

وهنا يقصد الرب بـ«**الذين آمنوا**»، التلاميذ والأحباء في ذلك الوقت أو من جميع الأجيال الذين سوف تمتد بهم الأيام إلى أواخر الدهور. هنا نجد أن الرب يوافق على الرؤيا العلنية والملموسة أيضاً لقيامته، ولكن يعود ويضع الإيمان بدون رؤيا على مستوى أعلى.

وهذه في الحقيقة يمكن أن نعتبرها بكل يقين وثقة آخر وأعظم طوبى أو بمثابة ختام النعمة العظمى التي منحها المسيح للكنيسة، فقد منح الرب قبل الصليب ثماني تطويبات لمختاريه (في إنجيل القديس متى)، وأضاف عليها سبعة تطويبات أخرى في مناسبات أخرى، وأبقى هذه الطوبى بعد القيامة ليمنحها لكنيسة الدهور الآتية كلها: «**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**».

ونحن نسأل لماذا أعطى المسيح التفوق للإيمان به بدون رؤيا على الإيمان به الذي تم بالرؤيا على مستوى توما؟

هنا المسيح لا يتعطف على المستوى الأقل (الإيمان بدون رؤيا)، ويعطيه الطوبى لكي يساويه بالمستوى الأعلى (الإيمان بالرؤيا)، ولكن المسيح أعطى الطوبى للإيمان بدون رؤيا على أساس أن الإيمان البسيط بشخص الرب يمكن أن يبلغ بالإنسان في كل الأمور المختصة بالله إلى حد متفوق جداً على الرؤيا.

فهذا الإيمان البسيط الواثق بالمسيح يبلغ بالإنسان إلى قبول المسيح كاملاً وكلياً في ذاته «**أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله** (فيه)»، أي يصير شخص الرب في صلة قلبية داخلية دائمة في ضمير الإنسان تزداد كل يوم عمقاً واختباراً حتى تصل إلى حد صلة العروس بالعريس، أي

الاتحاد السري أو زيجة النفس بالمسيح، حيث تصبح النفس مملوكة كلياً له، فتصير النفس مع الرب روحاً واحداً «**أما من التصق بالرب فهو روح واحد**»، حيث لا تعود النفس تحيا من ذاتها بل تحيا من المسيح وبالمسيح حتى إلى الدرجة التي يصير فيها المسيح هو الذي يحيا فيها.

هنا الالتصاق بالرب، أو حياة الرب داخل النفس الذي يُعبِّر عنه ق. بولس، والذي سبق وعبَّر عنه الرب يسوع بالثبوت المتبادل فيه، والحياة المتبادلة معه؛ هذه الحالة من الاتحاد والحب ارتفع بها المسيح إلى درجة فائقة في سر الجسد والدم إذ جعلها تبلغ حد أكله وشربه. فليس هو التصاقاً وحسب بل اتحاد عميق. هنا استعاض المسيح عن رؤيا العين ولمس اليد لجسد قيامته كواسطة للتحقق من شخصه أو لبلوغ حالة معرفة وإدراك له: «**ربي وإلهي**»، استعاض عنها بوسيلة أخرى مُتاحة للجميع وهي أن يعطي شخصه كله سراً ومجاناً لكل إنسان للإيمان به!! لا على أساس الرؤية بل على أساس تغميض العين وفتح الفم لتناوله داخلياً بالإيمان بدون عيان «**من يأكلني يحيا بي**»، «**من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه**».

صلاة

أيها الرب القائم من الموت، أرسل روح قيامتك ليُحرِّك قلوبنا الغبية في الفهم والإيمان، لنقبل هذه الحياة الغنية ولغزيرة.

يا رب، يا من نزلت إلى الجحيم وفككت المسبيين، انزل إلينا وأخرجنا من ضعفنا ووهمنا، وقُدنا في موكب نصرتك بروح قيامتك.

نحن لا نريد رؤيا ولا إعلاناً ولا منظراً ولا أية موهبة إلا حركة الروح في قلوبنا، فنعيش قيامتك بقوة وسلطان اسمك.

نحن لا نريد شيئاً لأنفسنا قط، نريد كل شيء أن يكون لك وحدك، وتكون لك القيادة والسيادة علينا وعلى كل الناس والأرض كلها.

نحن لا نريد أن نعيش أحراراً في تفكيرنا، ولكن احصرنا بروحك القدوس لننقاد لك أنت وحدك لنكون شهوداً لسلطان مُلكك علينا.

اقبل، يا رب، عهدنا أن نموت من أجلك كل النهار حتى نستحق أن حياتك تنمو وتزداد فينا بقوة وحكمة لا تُعاند.

يا رب، يا من رفعت الغشاوة من عيون تلميذي عمواس حتى تحرك قلبهما واشتعلا بالنار، اشعل قلوبنا بكلماتك اليوم لنقوم ونجري ونتحول من مسيرتنا العابسة العائدة إلى الوطن الأرضي، إلى الانطلاق إلى البشارة المفرحة بتهليل مجد القيامة حتى النفس الأخير. آمين. (٩)

---

(٩) القيامة والصعود ص٢٨٧

الأحد الثاني من الخمسين المقدسة

(يوحنا٦: ٣٥: ٤٥)

[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَداً. وَلكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي، وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. كُلُّ مَا يُعْطِينِي الآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ، وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجاً. لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَهذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ». فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ». وَقَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ يَسُوعُ بْنَ يُوسُفَ، الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. فَكَيْفَ يَقُولُ هذَا: إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ. لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الآبِ وَتَعَلَّمَ يُقْبِلُ إِلَيَّ] .

أنا هو خبز الحياة

«فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة، من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش إلى الأبد».

لقد سألت السامرية المسيح أن يعطيها من مائه الحي لكي لا تعطش، فأعطاها نفسه فقبلته.

وهنا، وعلى نفس المستوى، لما طلب منه اليهود أن يعطيهم من خبز الله الحقيقي، أشار إلى نفسه، وقال لهم: أنا هو خبز الحياة. فلو كانوا قد قبلوا منه عطية نفسه، لما جاعوا، العطية جاهزة أمامهم والخبز حاضر. ولو فتشوا الكتب لوجدوه، إنه هو الحياة الأبدية: خبزاً وماءً. فهو هنا يجمع الأكل والشرب معاً، فهو الطعام السماوي الكلي والكافي، الذي هنا نأكله ونشربه بالسر، وأما هناك فنشبع ونرتوي منه بالحق إلى الأبد.

المسيح يقدم نفسه لليهود ولنا كطعام حقيقي: مأكل حق يدوم هنا وفي السموات، ولا ينقطع قط. فالشبع من المسيح هو شبع إلهي سمائي لا يؤول إلى جوع دنيوي قط. والارتواء من المسيح هو ارتواء الروح بالروح. فينبوع المسيح سمائي إلهي ينسكب بجملته في أحشاء الإنسان لينبع فيه ومنه، هذا وعد المسيح وعمل الروح الذي يجري الآن أمام عيوننا، وطوبى لمن يرى ويسمع.

نعم، هذا الكلام حلو كشهد العسل، ولكن هناك فرق بين من يشتهي عطايا المسيح، ومن يشتهي المسيح نفسه! فالجليليون كانوا مثل المرأة

السامرية، عندما سمعوا هذا الكلام الحلو الذي يقطر عسلاً، طالبوه أن يعطيهم إياه، ولقبوه بالسيد، تملقاً، لعلهم يفوزون بعطاياه، ولكن كاشف القلوب والكُلى أدرك أنهم يَقبلون عطاياه ولا يقبلونه هو، ويؤمنون بمنفعة مواهبه، ولا يؤمنون به هو. فوضع لهم الشرط كالمشرط: ***{عطاياي لمن يُقبل إليَّ، وغناي لمن يؤمن بي}***

أنا هو خبز الحياة: المسيح هنا اعتبر نفسه خبزاً لنوال الحياة الأبدية، حيث أن المسيح والخبز الذي يعطيه، كلاهما، يهب الحياة الأبدية. فالمسيح فيه الحياة ويعطي حياة، لأن المسيح حي ومُحيي:«**لأني أنا حي، فأنتم ستَحيُون**». وخبز الحياة، هو كذلك خبز حي، فهو يعطي الحياة لأنه خبز الله، لأنه جسد المسيح. فالتطابق الذي يجعله المسيح بين كيانه الحي المحيي، وبين كيان الخبز الحي هو تطابق كلي؛ لذلك يعود المسيح بعد ذلك ويوضح هذا التطابق هكذا: «**أنا هو الخبز الحي**». وهنا يكمن سر التجسد العجيب الرهيب على مستوى اتحاد الكيان الإلهي بـ الجسد البشري المولود من الروح القدس اتحاداً سرياً كاملاً أبدياً.

والحيرة التي يقع فيها العقل الذي لم يقبل سر التجسد تكون حيرة حقيقية، إذ كيف يمكن للمسيح وهو إنسان أن يكون خبزاً؟؟!! والخبز كما هو معروف أنه يؤكل لقوام الحياة الجسدية؛ أما للذين قبلوا سر التجسد، أي بالإيمان بالمسيح، الكلمة المتجسد، يصير من السهل عليهم أن يدركوا سر الإفخاريستيا في قول الرب: « **الخبز الذي أنا أعطي هو**

جسدي». فهذا هو غاية التجسد، فالمسيح تجسد ليعطي جسده الحي للعالم، ليكون بذرة الخليقة الجديدة. هذه الحقيقة سرية للغاية، والذي يقبلها إنما يقبلها بالإيمان. والخطأ الذي ارتكبه اليهود، والذي لا يزال يرتكبه العالم هو أنهم يريدون أن يعرفوا سر المسيح قبل أن يأتوا إليه ويؤمنوا به، وهذا مستحيل.

والنصيحة العظمى التي نقدمها للناس جميعاً، هي أن يأتوا إليه بلا فحص، وأن يقبلوه ويؤمنوا به، لتنفتح عيونهم وقلوبهم، ويدركوا سر المسيح والله، وسر الحياة الأبدية، بكل يقين.

والمسيح في قوله إنه «يعطي جسده» يصير فاعلاً: «أنا هو»، ومفعولاً به: «جسدي» بآن واحد، لذلك حينما يبذل جسده فهو يعطي نفسه في هذا الجسد ليصير الأكل من الجسد اتحاداً به وبالله الآب، وقوة هذا الاتحاد هي الحياة الأبدية.(١٠)

في الحقيقة إن هذا اللقب هو من أبسط ألقاب المسيح التي أطلقها على نفسه، ولكن في نفس الوقت أعماقه لا تُجارى ولا تُحدُّ.

ليس في جميع الأسرار التي تصادفنا في حياة المسيح وأقواله ومعجزاته ما يُعادل هذا السر الرهيب، سر الخلود، الذي أبقى المسيح إعلانه حتى آخر ساعة من حياته. ففي الليلة التي كان مزمعاً أن يُسلّم فيها نفسه للموت من

---

(١٠) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ج١ ص٤٢٥

أجل حياة العالم، جلس مع تلاميذه ومهَّد للسر بإعلانه حبَّه لخاصته الذين في العالم، حبّاً وصفه المسيح أنه حتى المنتهى (يو١٣: ١).

والمسيح لم يكن مُغالياً حينما قال: «**أنا هو خبز الحياة**». إذ أنه في العشاء الفصحي الأخير، عندما أخذ الخبز على يديه، ونظر إلى فوق، بثَّه روح الحياة الأبدية. **فحمَّل الخبز، ذات الحياة الأبدية التي في جسده**، فصار الخبز الطبيعي معادلاً لجسده الإلهي الحي، أي خبزاً للحياة. وتمادى المسيح في إجراء السر، إذ كسر الخبز من واقع ما سيتم على الصليب، وهكذا بثَّ الخبز الحي موته المحيي، أي حمَّله قوة الفداء والغفران بآن واحد. وهكذا أصبح كل من يأكل من هذا الجسد يعبرُ- كما عبَرَ المسيح- بالجسد من الموت إلى الحياة، أي صارت في هذا الخبز الحي قوة القيامة من الأموات.

وبإعطاء المسيح الخبز حاملاً روح الحياة الأبدية، وسر كسر الجسد على الصليب؛ يكون قد أعطانا سر الشركة الكاملة في موته وحياته. والشركة هنا ليست مجازاً بل فعلاً وتحقيقاً، وهذا يُثبته ويُحققه قوله: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه". هنا الثبوت المتبادل، هو حالة تواجد للمسيح دائم في حياة الإنسان، والذي يؤهله حتماً للحياة الأبدية: «**من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير**».

من هنا أصبح الأكل من الجسد، أي الخبز المُتحوِّل، ليس مأكلاً عادياً؛ بل هو مأكلٌ حقيقيٌ وإلهي بالدرجة الأولى. لذلك نبَّه المسيح ووعَّى: «**لأن جسدي مأكلٌ حقٌّ**». لأجل هذا أصبح الأكل من الجسد له فاعلية إيمانية

سرية صادقة ومباشرة للثبوت في المسيح كثبوت المثيل على المثيل. وتكون النتيجة المباشرة لهذا الثبوت هو اندفاق الحياة الأبدية التي للمسيح في الشخص الذي يتناول من جسده ودمه، وتصبح الحياة الأبدية مفتوحة عليه، وبالتالي وبالضرورة تكون القيامة التي هي مصدر الحياة الأبدية قائمة فيه.

والمسيح هنا يكشف السر القائم في الإفخارستيا: أن من يأكل الخبز المتحوِّل للجسد والخمر المتحوِّل للدم، يكون قد "أكل المسيح" شخصياً ويكون قد ظفر بسر الخلود. ومن هنا كان تعريف الشهيد إغناطيوس للتناول من الجسد والدم أنه بمثابة تعاطي "ترياق عدم الموت" أي "دواء الخلود"، ذلك لأن فيها أولاً: شفاء، أي "مغفرة الخطايا"، وثانياً: النصرة على الموت والظفر بالحياة الأبدية. (١١)

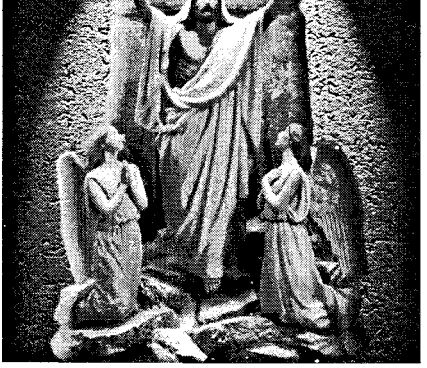

(١١) كتاب: ألقاب المسيح، مقالة خبز الحياة ص٢٢٢

سيظل حديثنا عن القيامة جديداً كل عام، لأن القيامة بحد ذاتها فعل تجديد. ولكن من الأشياء المدهشة في الإنجيل أن المسيح يقوم والتلاميذ لا يصدقون! ولكن أخاف لئلا نكون كالتلاميذ، لأني متيقن إنه إن لم نحس بالمسيح المُقام من أجلنا فلن تسري روح القيامة وقوتها فينا.

قيامة المسيح من الأموات هي فعلان:

الفعل الأول: هو فعل زمني تاريخي منظور ومحقق، بل ملموس ومسموع.

السيد المسيح ارتضى أن تكون قيامته حدثاً تاريخياً منظوراً ومحققاً، فقد سبق فحدده هو زمنياً (في ثالث يوم)، أي جعل قيامته حدثاً واقعاً في صميم الزمن والساعة، ثم أكمله بظهور حقيقي ملموس.. ثم أكل معهم.. وجلس في وسطهم.. وتكلم ووبخهم...فِعل القيامة الزمني هذا من الأفعال النادرة التي حددها المسيح بالأيام والساعات، وهو لم يُحدد الميلاد مثلاً، ولكنه حدَّد القيامة بالضبط.

والقيامة، كونها حدثاً زمنياً فهي أمر مفيد جداً، ليس فيما يخص الإيمان، لأننا يجب أن نؤمن بالقيامة دون برهان حسي؛ ولكن فيما يخص كل أعمال المسيح برمتها. فالقيامة أثبتت كافة معجزات المسيح الفائقة، كما أثبتت صدق بنويته الجوهرية لله وميلاده البتولي من عذراء.

لذلك أصبحت القيامة التي حققها المسيح، كآخر معجزة، هي الباب الوحيد والمفتاح السري الذي ندخل به إلى كافة أسراره، وبالأخص سرّي

التجسد والفداء، ثم سر مجيئه الثاني للدينونة.

الفعل الثاني للقيامة: هو فعل روحي سري غير منظور ولا محقق زمنياً، وهو الذي نتقبله نحن الآن بالإيمان ونعيش فيه ومن أجله.

فنحن الآن بالإيمان نرفع قلوبنا إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة في الأعالي، فنحس بعلاقتنا الوثيقة بالمسيح ونرتبط بمصيرنا الأبدي ونستوطن عنده. فالقيامة هي مصدر حياتنا الجديدة ونور إيماننا.

كما أننا نجاهد كل يوم بالحب والبذل والتفاني في خدمة الآخرين، على أساس أن تُستعلن لنا قوة القيامة أكثر فأكثر في حياتنا لكي نعيش بالروح فوق مستوى أتعاب هذا الدهر ومطالبه، لأن هذا هو مضمون القيامة وقوتها، أي برجاء آخر غير رجاء هذا العالم: «**إني أنا حي فأنتم ستحيون**».

العلاقة بين الفعلين: القيامة كفعل زمني تُحقق لنا كل مواعيد الله السابقة سواء في العهد القديم بكافة حوادثه أو العهد الجديد بكل عطائه الإلهي. فالقيامة كفعل روحي تُجسِّد لنا هذه الحوادث والمعطيات عينها لنعيش بها ونستمتع بقوتها الروحية المذخرة لنا فيها.

والمفروض أننا نحقق القيامة ونتأكد منها عقلياً وحسياً من مصدرين:

أولاً: من الكتب، أي الأسفار المقدسة، وهكذا فعل المسيح مع تلميذي عمواس، الذين فسَّر لهما المسيح الأمور المختصة به في جميع الكتب.

ثانياً: من شهادة الذين رأوا القيامة ولمسوها.

كذلك فإننا نحقق القيامة روحياً:

أولاً: باتصالنا بالمسيح رأساً، كعلاقة شخصية تقوم على المحبة والأمانة والطاعة: «**الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي**».

ثانياً: بتجردنا الداخلي وتغربنا من شهوة العالم وانفكاكنا من الرُّبط التي تربطنا به: «**ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك**». وحينئذ تسري فينا قوة القيامة وننتقل من الموت إلى الحياة.

وفي الحقيقة إن فعل القيامة الروحي، الذي هو بحد ذاته قوة إلهية داخلية ونور أُخروي وحياة أبدية وخلاص، هو يحتاج إلى الإيمان بالقيامة كفعل زمني تم وحدث؛ لكن هذا بحد ذاته لا يكفي: فمبدئياً، أنت تؤمن أن كلمة الله حقيقة، وبذلك تُصبح القيامة كفعل زمني حقيقة أيضاً. وإلى هنا لا تكون محتاجاً أن ترى المسيح بالجسد، أو تطلب أن تراه وتلمسه. فقد وبخ المسيح توما والتلاميذ على طلب البرهان الحسي.

أما من جهة الشهود فها نحن الآن قد صار لنا شهود كثيرون من واقع الإنجيل، الذين رأوا المسيح المُقام مثل بولس الرسول الذي قدَّم نفسه كشاهد وآخر الكل: «**ظهر لي أنا**».

لكن نحن لا يكفينا تقصي الحقائق التاريخية لنؤمن بالقيامة كحدث زمني فقط لكي نأخذ قوة القيامة كفعل إلهي. إن سبب ضعف إيمان التلاميذ هو أنهم لم يُدركوا بُعدها الإلهي الفائق للزمن؛ لذلك، وبعد أيام من قيامة الرب، ذهب بطرس وبعض التلاميذ لصيد السمك؛ وكأن القيامة فعل

ماضي لا يختص بخلاصهم الأبدي.

فالحدث الزمني لا يكفي، إذ لابد من رؤية الحدث بإحساس ما فوق الزمن، لِتقبُّل القيامة كفعل إلهي يختص بغفران الخطايا وتجديدنا وخلقتنا السماوية وحياتنا الأبدية.

الخطأ الذي وقع فيه التلاميذ هو أنهم نظروا القيامة كعمل غير مختص بخلاصهم هم وبحياتهم الأبدية؛ بل مختص بالمسيح فقط؛ واكتفوا بأن المسيح سيأتي في مُلكه ويملك فيملكون معه، وكفى، وهذا الأمر لا يضع على عاتقهم أيَّة مسئولية. كما كانوا يعتقدون أن القيامة في أقصى مفعول لها إنما تختص بتحوُّل ما، قد يحدث فيما بعد، وهكذا ابتعدت عنهم قوة القيامة لمَّا أبعدوها بفكرهم عنهم كفعل إلهي للخلاص لازم ومُحتم.

يا إخوة تيقظوا معي... القيامة كفعل إلهي مسئولية عظمى، ولن يعمل فينا هذا السر الإلهي إلا إذا فهمنا أن القيامة فعل حياة ورسالة نتقبلها الآن لنحيا بها ونُبشِّر بها ولا ننتظرها في اليوم الأخير.كمريم ومرثا.

وينبغي أن لا يغيب عن ذهننا قط أن المسيح وهو الإله، وهو القيامة والحياة، تألم وجُلد وشُتم وضُرب! ونحن مدعوون مثله أن نعيش قوة القيامة تحت الآلام!..وأن نذوق مجد القيامة تحت ثقل كل ضروب المعاناة..حينئذ فقط تُستعلن القيامة فينا ويتمجد المسيح!! وهل يمكن أن نُبشر بالقيامة دون أن نُبشر بالآلام ونشترك فيها؟

المسيح لم يستكره الظلم بل التصق بالآلام، وجعلها وكأنها شيء قريب إلى نفسه ومُحبب، بل ومُكمِّل لحياته: «**لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة**».

لذلك كلما ازدادت الآلام للسائرين في طريق الملكوت، كلما استُعلنت قيامة المسيح لهم وفيهم وصاروا شهود صدق للمصلوب المُقام.(١٢)

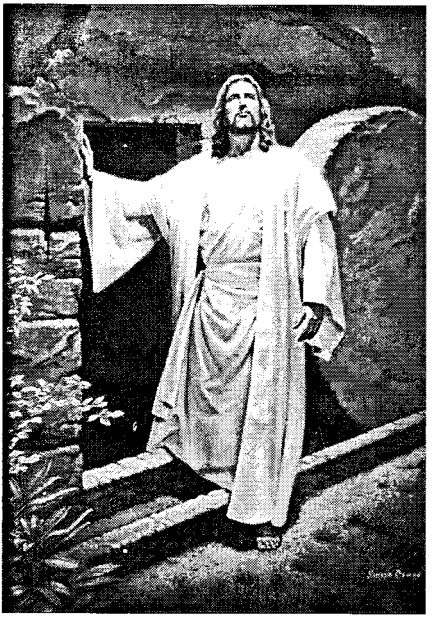

(١٢) كتاب القيامة والصعود ص٢٩٦، مقالة القيامة حياة وشهادة سنة ١٩٨١

الأحد الثالث من الخمسين المقدسة

(يوحنا٤: ١- ٤٢)

[فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تَلاَمِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلاَمِيذُهُ، تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضاً إِلَى الْجَلِيلِ. وَكَانَ لاَبُدَّ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّامِرَةَ. فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ يَعْقُوبَ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَعْطِينِي لأَشْرَبَ»، لأَنَّ تَلاَمِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَاماً. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟» لأَنَّ الْيَهُودَ لاَ يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَوْ كُنْتِ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، لاَ دَلْوَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى ههُنَا»، أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «حَسَناً قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ. هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لاَ فِي

هذَا الْجَبَلِ، وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ للآب. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ. لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُود. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ للآب بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا». قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ». وَعِنْدَ ذلِكَ جَاءَ تَلاَمِيذُهُ، وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ. وَلكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا؟ فَتَرَكَتِ الْمَرْأَةُ جَرَّتَهَا وَمَضَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَتْ لِلنَّاسِ: «هَلُمُّوا انْظُرُوا إِنْسَاناً قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ. أَلَعَلَّ هذَا هُوَ الْمَسِيحُ؟». فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوْا إِلَيْهِ. وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، كُلْ» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لِي طَعَامٌ لآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ». فَقَالَ التَّلاَمِيذُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَلَعَلَّ أَحَداً أَتَاهُ بِشَيْءٍ لِيَأْكُلَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ. أَمَا تَقُولُونَ إِنَّهُ يَكُونُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ يَأْتِي الْحَصَادُ؟ هَا أَنَا أَقُولُ لَكُمُ: ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَانْظُرُوا الْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ. وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ أُجْرَةً وَيَجْمَعُ ثَمَراً لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ مَعاً. لأَنَّهُ فِي هذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ: إِنَّ وَاحِداً يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ. أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ. آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ».فَآمَنَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ بِسَبَبِ كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ أَنَّهُ: «قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْتُ». فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ السَّامِرِيُّونَ سَأَلُوهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ. فَآمَنَ بِهِ أَكْثَرُ جِدًّا بِسَبَبِ كَلاَمِهِ. وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ: «إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ»].

« قال لها يسوع: أعطني لأشرب»

القول ينضح بالمفارقة الصارخة. ينبوع ماء الحياة يطلب أن يشرب من ماء مُعطِش ومن يد امرأة جفَّ منها ماء الحياء! ولكن دائماً أبداً تقف مفارقات الله مع الإنسان لحساب الإنسان. فالرب دائماً يحتاج إلينا ليعطينا.

«أجاب يسوع وقال لها: لو كنتِ تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لكِ أعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حياً».

المسيح هنا يفتح أمامها الباب لكي تنكشف بصيرتها وتَستعلن الشخص الجالس أمامها، ويوحي إليها أن تطلب منه عطية، وهذا هو مفتاح الصلة الحقيقية التي بها تنشأ العلاقة القوية بين الله والإنسان. وفعلاً نجح المسيح في هذا الإيحاء العجيب، وفعلاً طلبت المرأة، أما إن كان هذا الطلب غير صحيح؛ فقد عدَّله لها. كذلك فإن المسيح يُنبهها أنها محتاجة أن تَعلم مَن هو ولا تعثر في منظره المُتعب المُجهد والعطشان! وكأنه يقول لها: {***التفتي إليَّ، لأني افتقرت وأنا غني، ولكني افتقرت لأغنيكم، فلا تتعثري في منظر بشريتي هكذا، بل ارفعي بصرك لتري حقيقتي***}. وقد تم كل هذا بالحرف الواحد، وفي أقل ما يمكن من الزمن.

وفي الحقيقة، إن المسيح هنا بقوله: «**لو كنتِ تعلمين *عطية الله***» إنما يقدم نفسه للبشرية الخاطئة كما قصد أبوه الصالح تماماً: "هكذا أحب الله العالم حتى *أعطى* ابنه الوحيد...". ثم يعود ويربط هذه العطية، وهي نفسه، بالماء

ثم الحياة، ولكن في صورة الماء الحي، أي الجاري، ومن هنا التبس الأمر على السامرية. وهذا هو أسلوب ق. يوحنا في استخدام اللفظ الذي يرمي إلى معنيين: الأول عادي ومادي؛ والثاني روحي وإلهي!

والماء الحي في عُرف العهد الجديد هو مجرد ماء جارٍ من نهر أو خلافه، ولكن في العهد الجديد فهو *الماء المُحيي*، كعطية الله للإنسان على مستوى الشرب الذي يُحيي الجسد بالأساس، وبدونه يموت الإنسان. فالماء الحي عند المسيح هو: *الحياة الأبدية نفسه*. ولكن منظوره ومفهومه على أساس الحياة الجسدية التي يستمدها الجسد من الماء. أما الماء الطبيعي، إذا نال قوة روحية بالصلاة؛ فإنه يُعتبر ماءً للتقديس، وهو قادر أن يعطي الحياة الأبدية بالمعمودية بسبب قوة الحياة التي حلت بالصلاة.

ونلاحظ هنا أن المسيح يستخدم الماء موضوع الحوار من واقع حال الإنسان فيما يخص جسده وفيما يخص روحه؛ فيما يخص حياته على الأرض، وفيما يخص حياته الأبدية. فالجسد يعطش ويعطش ويعود إلى الماء في كل مرة، فهو لا يرتوي أبداً أبداً؛ ولكن الروح تعطش، فإذا ارتوت فلن تعطش أبداً لأنها ترتوي من ماء الحياة الأبدية؛ أو الماء الحي، أو الماء الحقيقي، الذي هو الحياة الأبدية نفسها: «**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**».

المسيح يضع إصبعه إلى نفسه ويشير إلى ذاته عندما يقول: الماء الذي أعطيه، فهو عطية الاستعلان التي إذا سكبها على قلب الإنسان ووعيه فإنه

يتعرف على حقيقة المسيح فيدخل مجال الحق الإلهي وينتمي بروحه إلى السموات؛ ومن كل ما هو سامٍ يشبع ويمتلئ ويرتوي، فلا تعود الأشياء التي في الدنيا موضع عطش أو تلهف أو متعة روح.

المسيح يضرب على الوتر الحساس ليرنَّ صوته في أعماق النفس المُتعبة التي نهبتها الشهوات والملذات والجري وراء سراب الغرور والمتعة، التي كلما شربت منها النفس ازدادت عطشاً إليها دون أن يدري الإنسان أنها تمتص رحيق حياته ونضارته وإرادته وكرامته، وأخيراً تتركه صريعاً للندم واليأس وخيبة الأمل.

«**لن يعطش أبداً**».

إنها مقولة تتجلى في حياة كل منْ يُقْبِل ويشرب كل يوم، ولكنها سوف تبلغ أوجَ تجليها في المجد الأعلى: «**لا يجوعون بعد ولا يعطشون ولا يضربهم حرٌّ ولا شمسٌ، لأن الذي يرحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم**».

كل منْ أدمنَ على شرب المياه المُعطشة هنا؛ يتمنى في يوم من الأيام لو لم يولد حينما يبلغ به العمر أرذله؛ أما الذي ذاق الحياة في المسيح يسوع، فهو كل يوم يولد جديداً.

كل من ضيَّع العمر في ملذات هذا الدهر، يتمنى لو يموت؛ أما الذي استعلن المسيح، واستنشق الحياة الأبدية فيه، فهو يحيا كل يوم حياة جديدة ولن يموت أبداً. (١٣)

---

(١٣) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ص٢٧٧

«الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية».

ماء العالم كل الذي يشرب منه يعود ويعطش أيضاً، لأنه ماء نابع من الأرض. ولكن جاء المسيح ومعه ماء حيّ، أي فيه روح الله. كل من يشرب منه يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، يخرج من بطنه، أي من قلبه، أنهار من هذا الماء الحيّ، أي الذي فيه روح الله.

ومن عجائب هذا الماء الحيّ الذي جاء به المسيح من فوق، أن كل من شرب منه لا يموت، حتى ولو داهمه موت الجسد، فهو يقوم من الموت إلى الحياة الأبدية. والمسيح هنا يقصد بالماء الحيّ أنه تعاليمه التي فيها سرّ الحياة.

فكلام المسيح هو الحق وهو الحياة، ويؤدي بمن يستمع إليه إلى حياة أبدية، ولن يعبر على الدينونة، بل ينتقل من الموت إلى الحياة مباشرة. وكلام المسيح حلو ويروي النفس العطشانة إلى الحق والله. لذلك كان تشبيه المسيح لكلامه أنه الماء الحيّ حقيقة سرّية للغاية، لا تروي إلاّ لمن يعطش ويجوع إليها. فكلمة المسيح غذاء للنفس وارتواء أيضاً.

والعجيب حقاً أن كل من ارتوى بكلام المسيح، يصير هو نفسه ينبوع ماء حيّ، لا إلى ساعة أو يوم، بل إلى الأبد. كل من يسمعه كمن سمع المسيح نفسه، فكما ارتوى يروي أيضاً. وهكذا يعيش المسيح في كل من آمن به وأحبه. كما يقول بولس الرسول: «**فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**». وهكذا يصبح من يؤمن حقاً بالمسيح ينبوع ماء حيّ. وكأنما يعيش المسيح في كل الناس، كل من آمن وأحب.

فكما أن الماء الطبيعي يُحيي الإنسان كل أيام حياتـــه، هكـــذا كلمـــة المسيح تُحيي كل من يسمعها، وتدخل إلى قلبه وتصيِّره ينبوع ماء حـــيّ. وكما أن الماء للعطشان حلو ولذيذ، يظل يشرب منه إلى أن يمتلئ، هكـــذا كلام المسيح لمن يستمع إليه حلو ولذيذ، يظل يشرب منه ليعود ويـــشرب أيضاً حتى آخر حياته. وكما أن الماء الطبيعي مركّـــب مـــن أوكـــسجين وهيدروجين، كذلك كلام المسيح مركب من حق ونور، الحق يكـــشف والنور يقود. فالماء الطبيعي يشربه الإنسان وهو في مكانه، أما الماء الحـــيّ فيشربه الإنسان ويرتقي إلى السماء.

يا لسعد البشرية بمجيء ابن الله، حاملاً سرّ الماء الحيّ ليُحيي به الإنسان إلى الحياة الأبدية. المرأة السامرية أرادت أن تشرب من ماء الحياة الأبديـــة، فاستحال عليها ذلك لأن ليس لها زوج. فسرّ الحياة الأبدية لا يقتنيـــه إلاّ الأبرار المولودين من فوق. (١٤)

صلاة

المَجد لك يا رب في كنيستك التي استودعتها سرّ قيامتك، سرّ مفاعيل حيّة استلمتها في أسرارها وفى قديسيها، سلمتهم من خلال السرّ وسلمتهم من خلال التقليد بالكلمة والقدوة الحسنة والسلوك.

فيا ابن الله الذي استودعتَ كنيستك هذا الغنَى كَحركة وفعل، دام وسيدوم

---

(١٤) كتاب مع المسيح الجزء الرابع ص١٠٠

إلى الأبد، يا رب، افتح قلبنا اليوم لكي ما نستقبل يوم قيامتك كيوم فعل قيامة حقيقية، كفاعلية برّ تسكن قلبنا، برّ مَجّاني، مدفوع ثَمنه بالكامل وكحياة جديدة نعيشها منذ هذه اللحظة يا ربِّى كفعل يسكننا وليست فكرة ولا نظرية.

أتوسَّل إليك يا رب أيضاً أن تعطينا رجاء القيامة من الأموات، رجاءً حيّاً كفعل يسكن قلوبنا نستطيع أن نغلب به كل خوف من الموت، كل انزعاج وكل ما يؤدِّى إلى الموت، كل الأمراض بأنواعها، كل مَخاوف وزعازع هذا الدهر وتَهاويله الكاذبة، لأنك يا ربِّى دُسْتَ الموتَ فماتَ الموتُ. اليوم ندفن الموت. اليوم مات الموت ورُفع سلطان الخطية عنها وتعرَّتْ وافتُضِحَتْ، لا موت ولا خطية.

اليوم نَحن نعيش ملء الشجاعة في قيامة المسيح غَيْر واقعين أبداً تَحت سلطان الموت أو سلطان الخطية. لا نَخاف الموت البتة، بل كما داسه الرب ندوسه بإيماننا ولا نَخاف الخطية التي أزعجت وأرعبت القلوب الضعيفة، لأننا في هذا اليوم نأخذ البِرّ الذي هو انعتاق من كل دينونة إزاء الخطية، فلا سلطان للخطية علينا البتة اليوم.

نعم، يا سيدي، ولا تَجعل للموت سلطان علينا البتة من بعد اليوم ولا الخطيئة، بل في ملء شجاعتك، في ملء قوَّتك، أيها القائم من الأموات لتعطى حياة، لتعطى تبْريراً، لتعطى رجاءً بقيامة حيّة عتيدة أن تكون لأجسادنا.

والمَجد لك في كنيستك منذ الآن وإلى أبد الآبدين ودهر الدهور، آمين.[١٥]

---

(١٥) صلوات الأب متى المسكين، عظة على مفاعيل القيامة في حياتنا سنة ١٩٧٥، ص١٢٢

القيامة والحياة الجديدة

قيامة المسيح من الأموات حقٌّ اكتسبه لنا المسيح، لأنه من جهته هو لم يكن في حاجة إليها، فهو القيامة ذاتها والحياة، والموت لا يمكن أن يسود عليه ولا يمكن أن يُمسَك هو في الموت. لذلك فقيامة المسيح تَمَّت لأنه رضي أن يموت بإرادته، وهكذا أصبح موته هو موتنا وقيامته هي قيامتنا.

والقيامة قوة حياة جديدة دخلت إلى خلقة الإنسان لم تكن فيه قط، ولا هي من صفاته أو حقوقه، ولكنها هبة خالصة، حياة أخرى فوق حياته، حياة جديدة ممتدة في الأبدية مع الله لا يعترضها حزن ولا وجع ولا موت.

في الحقيقة إن **الحياة الجديدة** هي أعظم ما اكتسبناه من المسيح بقيامته من الأموات. فنحن نحيا منذ الآن وفي هذا الدهر عربون القيامة المزمعة أن تكون وعربون نوع الحياة الأبدية، بأن نحيا منذ الآن في جدة الحياة، أي أن نحيا حياة جديدة ليست كالأولى حسب الجسد العتيق وشهواته؛ بل حياة جديدة حسب الروح وحسب الله بإنساننا الجديد الذي سيوهب لنا بصفات المسيح بقيامة المسيح من الأموات.

وهذا الميلاد الثاني لا نحصل عليه كهبة عامة تشملنا خارجياً؛ بل هو هبة خاصة لكل واحد، ينالها بالمعمودية والتناول وبواسطة الانشغال القلبي والفكري بكلمة الله الحية، وبحياة يسوع وأقواله وتعاليمه، حين تسكن كلمة الله في قلوبنا بغنى وتخصب الحياة كلها.

إن تعييدنا على بعضنا بتحية القيامة: **المسيح قام _ حقاً قام**، ليست هي نداء تحية أو مجرد تعبير إيماني، أو مجرد تقرير حقيقة نتحمس لها بأفواهنا، ولكنها شهادة لحقيقة نحياها ونقدمها للآخرين، هي هي حياتنا الجديدة المُقامة الآن في وسط ظلمة وجحيم هذا العالم الذي نعيشه، وهي النموذج الذي قَبِلْنا أن نعيشه بعد الموت في حياة مُقامة لا يسود عليها الموت.

وحينما ننشد أنه: [***بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية***]، فنحن نُقرر أننا في جانب الانتصار الذي انتصره المسيح على الموت، الذي ألغاه وفك قيوده عن الموتى، وأنه أوقع الشيطان وانتزع منه سلطانه فألغى الخطية ، وألغى الموت والهاوية.

أما إذا كانت الخطية لا تزال تظهر للآن كأنها قائمة وفعَّالة في العالم؛ فهذه صورة مُزوَّرة غير صحيحة، أخذت وجودها الكاذب بسبب ضعف إيماننا وعدم رؤيتنا الصحيحة. فالخطية تتحرك فينا حركة كاذبة مع أنها مقتولة مقهورة، والشيطان يُرعبنا بحركاته؛ مع أنه مضروب ضربة الموت، وقد أُعطي لنا أن نصرعه في أي معركة.

الشيطان فقد قوته عندما صُلب المسيح، وكل الوقت الذي يمر الآن بالنسبة للشيطان والخطية هو وقت لا قيمة له بالنسبة للنهاية المحتمة لإعلان الانهزام الأبدي والنهائي للشيطان وعالم الإثم.

فالزمن الذي يتحرك الآن أمامنا مع نشاط الخطية وحركة الموت وتسلُّط إبليس هو محسوب أنه زمان مُنتهٍ. فالخطية مغلوبة، والموت بطلت قوته:

«**الأشياء العتيقة قد مضت. هذا الكل قد صار جديداً**». نحن الآن لا نعيش بعد في عُتق الحرف، بل في جِدَّة الروح.

في الحقيقة نحن نحيا الآن حياتين: حياة لتكميل إعواز الجسد، وهي غير محسوبة، وكل حوادثها زائلة تسير نحو النهاية المحتومة. وحياة أخرى خرجت من باطنها بالصليب والقيامة، حياة جديدة روحية، لا تنتهي، تمتد بعد الموت في الأبدية. الأولى مستعبدة للحرف، والثانية حرة بالروح القدس. وقد أُعطي للإنسان أن يُحوِّل حوادث هذا الزمان الضائع الموضوع في الشرير؛ يُحوِّلها بالصلاة والحب والبذل والقداسة إلى فضيلة وبر. فالخطية تتحول الآن إلى بر بالنعمة.

الزمن الأول يحوي كل التراث الآدمي، وهو يبدو كتاريخ مع أنه لا يزيد عن كونه قصة تستهلك نفسها بنفسها ويطويها الزمن إلى لا شيء. أما الزمن الثاني، فهو زمن يسوع المسيح، ويحوي قصة الخلاص العظمى التي تغطي كل الزمان الأول وتتعمقه وترتفع به إلى الأمجاد العليا. لقد مُنح لنا أن ندخل تاريخ المسيح الشخصي بالميلاد الجديد ونُحسب أهلاً لبيت الله. إننا بأعمالنا التي نعملها بالصلاة والحب والبذل حاملين صليب المسيح ونقبله ونُدخله إلى قلوبنا وواقع حياتنا، إنما نؤرِّخ للمسيح فينا جديداً. لقد صارت حياتنا الجديدة في عمق تاريخ المسيح الحي الأبدي الذي لا يزول ولا يتحول.

لذلك فإن أعظم حوادث الإنسان اليومية على مستوى الجسد والعالم تُحسب أنها لا شيء، فهي حتما ستتقلص عبر الزمن لتصبح غير ذات قيمة.

أما أعمالنا الروحية التي نعملها بالروح بإخلاص إنْ بالصلاة أو بالدموع أو بأعمال الحب والبذل والاستشهاد، فهي نقط مُضيئة ثابتة وباقية أبد الدهور.

وهكذا، فإن قيامة المسيح كشفت عن حياة نصرة كاملة جديدة، عن عالم بأكمله أُعدَّ ليصير الإنسان مستوطناً فيه للأبد، بعد أن كان متغرباً على الأرض وحيداً في العالم مهزوماً متغرباً حتى عن ذاته، يستهلك نفسه ويستهلك عمره وزمنه ويرتضي في النهاية بأن يُدفن تحت التراب. قيامة المسيح خلقت أملاً، بل عالماً جديداً للإنسان يحيا فيه جديداً، غير وحيد.

وهكذا، فإما أن نقبل هذه القيامة التي قامها المسيح على أنها لحسابنا، كبداية لشركة حياة جديدة معه؛ وإما أن نستهين بها فلا يتبقى للإنسان إلا وحشة الحياة بحوادثها اليومية الآيلة للانحلال والزوال، ينظر فيها إلى الشيطان باحترام ورُعبة، وإلى الخطية كقوة حتمية، وإلى الموت كحقيقة انتهاء كل شيء. مع أن المسيح قد حطم كل هذا على الصليب وأنهى عليه تماماً، وفضحه بقيامته علناً، لكي يدوسهم الإنسان كما داسهم المسيح.

وإن كان هناك من لا يرى حقيقة القيامة ولا يحس بأزمنة الخلاص ولا يفهم إمكانية الولادة الجديدة، فهذا لا يلغي أن المسيح قام حقاً وافتتح طريق الحياة الأبدية والخلود لتطرقه رِجْلُ الإنسان، وتنفتح عيناه لرؤية وجه المسيح القائم من الأموات وهو يمنح العطايا، جالساً عن يمين العظمة، مُعلناً قيام ملكوت الله، وأن الآن هو زمن التدبير لتكميل فترة الشهادة، أي نشهد لنصرة المسيح على الشيطان والخطية والموت.

إن من يظل لا يرى ولا يحس؛ لا يمكن أن يضع العيب على الله الذي أرسل ابنه علناً، والذين شهدوا وعبروا هم ملايين؛ إنما العيب على العين الكليلة والآذان المسدودة وفكر الإنسان المطموس.

القيامة والحياة الجديدة، تحتاجان لرؤية جديدة

إن المسيح تراءى لكثيرين ممن اختارهم وليس للجميع، تراءى للذين انفتحت قلوبهم لرؤية أبعاد الحياة الجديدة: أ- **المجدلية:** وقفت أمام المسيح بعد القيامة تخاطبه كأنه البستاني، لأنها كانت تحت أبعاد رؤية الإنسان العتيق، ولكن لما انفتحت عيناها وانفتح قلبها للعالم الجديد، عرفت المسيح. ب- **التلاميذ:** البعض منهم شكَّ أولاً، لأنهم كانوا منحصرين في توقعات الرؤية القديمة بأبعادها القديمة. ج- **تلميذا عمواس:** قابلهما المسيح ولم يعرفاه وحادثهما طويلاً في نقاش إلى لحظة كسر الخبز حيث انفتحت أعينهما فعرفاه.

هذه هي الحياة الجديدة والقيامة التي أنشأت في الإنسان كياناً وقدرات ورؤية أعظم بكثير مما هي عليه الآن. لذلك فالإيمان بالمسيح والقيامة يحتاجان إلى عين جديدة وأذن جديدة وقلب وفكر جديدين: «**تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم**». وهذه هي الآية الذهبية لطالبي الدخول في عِشرة المسيح: «**قلباً نقياً أُخلق فيَّ يا الله**». (١٦)

---

(١٦) كتاب القيامة والصعود ص٣٣٦، مقالة: من الصليب إلى القيامة.

(يوحنا١٢: ٣٥- ٥٠)

[فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ». تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الَّذِي قَالَهُ: «يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» لِهذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضاً: «قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ. وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضاً، غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ، لِئَلاَّ يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ. فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ»].

حينما يُوصَف الله بالنور؛ فلا يظن أحد أنه نورٌ مرئيٌ بالنظر أو الفكر، بل هو طبيعة الله غير المُدركة بالعقل، ولكنه مُدرك بالروح، فالله مُدْرَكٌ كاملٌ يُدرَكُ، ولكن لا يُدرَكُ كمالُه. والمسيح بصفته شعاع أو بهاء مجد الله؛ فهو النور الذي جاء إلى العالم ليستعلن طبيعة الله غير المُدركة.

والمسيح حينما يقول: «أنا هو نور العالم» فهو يقصد أن يقول إنه جاء إلى العالم ليستعلن طبيعة الله، كآب وابن، فطبيعة الله كانت سراً مختوماً لم يُعرَّف به أحد قط سابقاً.

المسيح هو بالحقيقة نور العالم، لأنه سلَّم للعالم سر استعلان بنوته لله، وسر حب الله الآب للعالم، هذا الحب الذي كلَّفه ذبح ابنه على الصليب، كذلك سلَّم العالم سر الأبوة والبنوة في الله، وهو السر الذي انتهى بالإنسان إلى قبول الحياة الأبدية وإلى التبني أي الدخول في بنوة الله مع المسيح.

والمسيح عندما قال: «**سيروا في النور ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**» كان يقصد أن نسير في جدة الحياة أو الحياة الجديدة في المسيح، أي **القيامة**، أي الخليقة الأخرى التي من فوق، لئلا يُدركنا الظلام، أي لئلا يطغى علينا مرة أخرى ظلام الإنسان العتيق والحياة القديمة المُستعبدة لظلام الخطية وسلطان الظلمة. (١٧)

---

(١٧) من كتاب المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا ص١٢٠

هناك مقارنة ومقابلة مستمرة في الكتاب المقدس ما بين النور والظلام، النوم واليقظة: «**قم أيها النائم واستيقظ من بين الأموات فيضئ لك المسيح**»، أى أن هناك ربط بين الموت والظلام. فكما أن الحياة تنبعث من النور؛ كذلك الموت من الظلمة. لذلك يقول ق. يوحنا في رسالته: «**الله نور وليس فيه ظلمة البتة**»، ومن هنا يستخرج لنا منهجاً عملياً كعلاقة حتمية مع النور، اسمعه يقول: «**إن قلنا أن لنا شركة معه** (أي النور) **وسلكنا في الظلمة** (أي الخطية) **نكذب ولسنا نعمل الحق**».

أسألكم: كم مرة جلست مع نفسك تفحص هذا الأمر؟ النوم كَظلمة، والخطية كَظلمة، والمسيح كَنور؟!

أول صفة قريبة للنور هي الحياة، نور الله حياة. فما أن تتذوَّق الإحساس بالحياة الأبدية يبتدئ النور يأخذ كيانه داخلك، لذلك فإن أول صفة نفهم بها النور هي الحياة الأبدية. المسيح جاء لكي يُظهِر لنا الحياة الأبدية. العالَم لَم يكن متصلاً بالحياة الأبدية، فجاء المسيح إلى العالَم وعمل طريقاً للحياة الأبدية: «**أنا هو الطريق، أنا هو النور**». فعندما أمسك بوصية المسيح أجد نفسي سائراً في طريق الحياة الأبدية. هذا هو مفهوم النور. وعندما تنجح في التنفيذ يكون هذا هو المسير.

المسير في النور هو في الواقع عمل انتقال من العدم إلى الوجود ومن الموت إلى الحياة، وهذا لا يُمكن أن يكون إلاّ بالمسيح لأنه اتصل بالموت وهو الحياة، لذلك عندما نتصل به ننتقل من الموت إلى الحياة. النور هو كلمة المسيح والروح القدس في الإنجيل، عندما أمسك بالمسيح طول النهار

بكل قوتي أجد ذاتي قريباً من الحق.

يُوجد مفهومان للنور: مفهوم للنور بالنسبة للعقل، ومفهوم للنور بالنسبة للمسير. المسيح تَجنَّب النور العقلي، قال: «**سيروا في النور**»، ولَم يقل: "افهموا النور".

مفهوم النور العقلي لذيذ، وأمّا الآخر للمسير فهو صعب! المسيح قال: «**احْمل صليبك واتبعني**»، فقرأها واحد وقال إن هذه الآية عميقة وفسّرها في ثلاث مُجلدات، وآخر أخذها وسكت ثُمَّ وضع الصليب على كتفه وسار! تفسير النور العقلي مُضلِّل، أمّا التفسير العملي ففي كل خطوة يَخطوها الإنسان يظهر له النور أكثر. كل خطوة تَخطوها في الوصية تتحوّل أنتَ بجملتك إلى نور! «**سيروا في النور لتصيروا أبناء النور**».

السير في النور الإلَهي هو شركة الطبيعة الإلَهية، السير في الوصية هو شركة، تصبح شريكاً مع الذي قال الوصية، كل جزء في الآية يُحوِّلك من الصورة الآدمية إلى الصورة الإلَهية. لو أنت فهمتَ الإنجيل كله ولَم تنفِّذ الوصية بدقة لن ترى النور. ربَّما تكتب مُجلدات عن النور ولكن لن ترى النور! إنسان ساذج أُمّي ينفِّذ الوصية بالحرف يصير ابناً للنور! هنا المشقة منتهى المشقة، والسهولة منتهى السهولة! هناك أجيال تاهت وماتت وتلاشت ولَم تأخذ نصيبها في الحياة الأبدية. ملكوت السموات انفتح للسذّج والأمّيين بصورة سهلة جداً. تقول لي: أنا لست أفهم! أقول لك: نفِّذ. إذا حسبتَ الخطورة في التنفيذ فأنتَ تدخل في المفهوم الذهني والعقلي، وبذلك تكون

رفعتَ الموضوع من التنفيذ بالإيمان إلى التنفيذ بالمعرفة، فلن ترى الملكوت.

أحياناً تريد أن تفهم المسيح فيبعد عنك، أمّا أن تأخذه؛ فستجده في قلبك.

مباركة هي الخطوة الأولى في كل مسير نحو يسوع المسيح. كل خطوة عملية نَخطوها في حياتنا متّكلين على الوصية متمسكين بها هي المسير في النور. كل خطوة نخطوها تُحدث فينا تَحولاً داخلياً فنصير أبناء للنور والوصية.

ما أسهل الطريق المؤدّى إلى الحياة الأبدية [١٨]

والمسيح حين يقول:«**النور معكم زماناً قليلاً بعد فسيروا في النور**» كان آنذاك محصوراً في زمان قليل بالفعل، حتى إنه بعد أن قال ذلك، أكمل القديس يوحنا كلامه موضّحاً مدى السرية فيه قائلاً: « **تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم**». ولكن لا يزال المسيح حتى اليوم يعرض نفسه لكل من يفتح قلبه. ولكن حذارِ! فالعرض لن يدوم. فإذا توانى الإنسان في الاستجابة، ثم عاد يبحث عن الصوت فربما لن يجده. فوجود المسيح كنور العالم، أو كنور الإنسان رهنٌ باستجابة الإنسان. وكأن كل إنسان في العالم مسئول عن وجود المسيح ودوامه؛ فإما أن نقبل النور، فنصير أبناء له، أو لا نقبله فيتم قول الإنجيل: «**فمضى واختفى عنهم**». وبهذا تتحدد الدعوة لنكون إما أصحاب النور، وإما أعداءً وفي الظلمة نعيش. [١٩]

([١٨]) من حديث شفوي قيل في وادي الريان سنة ٦٦

(١٩) كتاب ألقاب المسيح: أنا هو نور العالم ص١٨٦.

قيامتنا كلنا

في صلاة أوشية الإنجيل يقول الكاهن مخاطباً المسيح: "**لأنك أنت هو حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفاؤنا كلنا وقيامتنا كلنا**".

القيامة هنا تأتي ختاماً لأعمال المسيح في حياتنا. فحسب ترتيب هذه الأوشية يبدأ المسيح عمله فينا بأن يهبنا حياة من فوق في سر الميلاد الثاني بالاصطباغ من الماء والروح. ثم يؤمِّن هذه الحياة الجديدة بفعل الخلاص بدمه في سر الإفخارستيا. ثم يُؤازر جهادنا المُتعثر في طريق الخلاص بسر الرجاء. ثم يشفي سقطاتنا وأمراضنا بسر مسحة زيت رحمته. وأخيراً وختاماً لكل أعمال المسيح، وكتاج وإكليل، تأتي القيامة، سر الأسرار جميعها، تأتي فتجعل سر الحياة الجديدة وسر الخلاص وسر الرجاء وسر الشفاء حقيقة قائمة دائمة في صميم طبيعة الإنسان، تؤهلها للاستمرار في الحياة مع المسيح الآن وفي الموت وبعد الموت.

فإن كانت جميع الأسرار تؤهلنا أن نحيا مع الله هنا على الأرض، فسر القيامة يؤهلنا للصعود لنحيا مع الله فوق في السماء، لذلك يشدد علينا بولس الرسول: «**إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق**». بمعنى أن روح القيامة لو انسكب في قلوبنا حقاً فإننا حتماً لن نعود ممسوكين بالنظر إلى ما هو تحت، أي ما هو تراب، بل تنجذب عيوننا إلى النظر إلى فوق، إلى مصدر حياتنا الجديدة. وهذا حق، وهو أمر منطقي أن الذي أخذ روح القيامة لا تعود سعادته على الأرض، لأن مركز حياته كله يكون قد انتقل

من الأرض للسماء.

طالما الإنسان لم يوهب سر القيامة؛ تظل سعادته على الأرض، ولكن في اللحظة التي يتقبل فيها روح القيامة فإنه يشعر أن سعادته وأفراحه وكل اشتياقات قلبه قد انتقلت إلى فوق، إلى بيتها الأبدي..

هناك البعض للأسف ينكرون القيامة، هم يعيشون في ملكوت أرضي، هم مستعدون أن يقبلوا كل أعمال المسيح لتزيدهم راحة وسلاماً وسعادة على الأرض، ولكن أن يقبلوا القيامة بصدق وإخلاص فهذا أمر مستحيل، فهذا يستلزم أن ينقلوا في الحال مركز حياتهم وتفكيرهم وآمالهم وسعادتهم من الأرض للسماء، ومن الجسد إلى الروح.

ونحن بالمثل مُطالبون الآن أن نكون واقعيين مع أنفسنا: «**جرّبوا أنفسكم هل أنتم من الإيمان. امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين**».

ماذا تعني القيامة بالنسبة لنا؟

هل هي عقيدة فكرية وطقس نُعيِّد له وحسب، أم هي حياة؟ هل نعيش في قيامة المسيح حقاً بإحساس إنسان قام من الموت بروح المسيح وصار ناظراً إلى فوق، فأصبح بالتالي القبر والموت خلف ظهره والحياة الأبدية بكل أمجادها أمامه، أم لا نزال بسبب الخوف من الموت تحت عبودية الاهتمام بأمر الغد والتورط في حساب المستقبل دون افتداء الوقت؟

إن قياس سلوك الإنسان على مقياس القيامة يفضح تـــدين المـــسيحي، فالمسيحية بدون قيامة حقيقية، أي على أساس نظر مُثبت دائماً إلى فـــوق، تصبح رِدة إلى اليهودية، وسعياً وراء ملكوت أرضي، كما كان في القديم.

لذلك، إن كان حمل الصليب، والذي هو رمز التجرد والفقر الاختيـــاري والضيقات، يشكل محنة بالنسبة للمسيحي الطامح وراء أمجاد ومسرات هـــذا الدهر؛ فإن الإيمان بالقيامة والمعيشة بروحها تضعه في مفترق طـــريقين: الأرض أو السماء، الذات أو الله، حياة حسب الجسد أو حياة حسب الروح.

للأسف كثيرون تزيَّفت عليهم المسيحية، فحسبوها مجرد أخلاق فاضلة مع مسرات نفسية وأفراح أخوية وبهجة اجتماعات، وما علموا أن برهـــان صدق الحياة المسيحية الوحيد هو القيامـــة التي يجوزها الإنسان في أعماقه، فيجوز تغييراً كاملاً شاملاً يعيد صياغة فكره وآماله ونظرته للحياة كلها.

ليس معنى هذا أن الحياة بروح القيامة تخلو من مسرات وأفراح، بل على العكس؛ فأفراح القيامة لا تدانيها أفراح، وبهجة الحياة التي أضاءها وجـــه المسيح القائم من الأموات لا يمكن أن تزعزعها أتعاب أو ضـــيقات، لأن مصدر فرح الإنسان العائش في بهجة القيامة هو فرح سماوي لا يمكـــن إن يطاله حزن أو ألم أو خسارة أرضية أو نفسانية مهما تعاظمت، إنه وعـــد إلهي غير قابل للتغيير: «ولا ينـــزع أحد فرحكم منكم».

وقد يظن إنسان أن النظر الدائم إلى السموات بروح القيامة الحقيقية يُطفئ جذوة التطلع إلى خير البشرية، ويُفسد جهاد الإنسان على الأرض، ويـــضعف

من تقدمه العلمي.. ولكن هذا غير صحيح، لأن الإنسان الذي يعيش بروح القيامة لا يفقد إلا طموحه الشخصي ولا يتنازل إلا عن أنانيته هو، أما رغبته في إسعاد البشرية فإنها تزداد وتتأجج فيه أضعافاً مُضاعفة بسبب حضور المسيح فيه: «**كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام**».

ولا ينبغي أن نظن أن القيامة هي فكرة تجريدية أو حالة خيالية أو حالة روحانية صرف تختص بالإدراك اللاشعوري؛ ولكن المسيح شجب هذا التحليل اللاإيماني، عندما قال لتلاميذه: «**جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي... أعندكم ههنا طعام؟...فأخذ وأكل قدامهم!!**»

القيامة هنا أثبتها المسيح إثباتاً مدموغاً بالرؤيا وبالحواس جميعاً أنها قيامة جسدية باللحم والعظام وبكل مُكونات الجسد، حتى الجروح التي في اليدين والجنب المفتوح كلها بقيت على حالها تشهد لنصرة القيامة فوق ضربات الموت!! يا لسعادة الطبيعة البشرية، لقد انفتح أمامها باب الحياة الأبدية ودخل المسيح كسابق يحمل طبيعتنا ليورثها ملكوته، ملكوت القيامة والخلود والنور الأبدي.

إن فرحة التلاميذ لمَّا رأوا معلمهم المحبوب قائماً من الأموات ناقضاً أوجاع الموت وآلامه، كانت فرحة قوية وجارفة لكل مشاعرهم وتفكيرهم، واعتبروها أعظم بشارة مُفرحة للعالم، والإنجيل الذي انطلقوا على أساسه يشهدون للمسيح في المسكونة كلها. وكان مُجمل هذه البشارة أو محور الإنجيل كله أن المسيح هو قيامتنا كلنا.

وهبة القيامة التي مُنحت للطبيعة البشرية بقيامة المسيح من الأموات هي هبة عامة، ولكل إنسان الحق في قبولها لكي يصبح صاحب حق فيها، أو بمعنى آخر لكي تصبح قيامة المسيح المُمجدة هي قيامته هو.

ولكن هبة القيامة تلك تضعنا أمام مسؤوليتين:

١- أي إهمال من جانبنا في قبول قيامة المسيح في حياتنا كقيامة حقيقية لنا تُضيِّع علينا تلقائياً هذه الهبة العمومية بكل بركاتها وإنعاماتها. وهنا لا يصير المسيح قيامتنا، بل تصير لنا قيامة أخرى هي: «**قيامة الدينونة**».

٢- أي إهمال أو تجاهل من طرفنا لعمومية هبة القيامة تجاه الآخرين، فإن ذلك يسيء إلى حقيقة قيامة المسيح بالنسبة لنا، لأن المسيح قيامتنا كلنا. و"كلنا" هنا تُحتم أن أُفتش على قيامتي في قيامة أخي.

قيامتي ستظل ناقصة ومُتضائلة حتى أستكملها بقيامة الآخرين.

قيامة المسيح، مجدُها وبهاؤها في كونها "**قيامتنا كلنا**".

وحينما نبلغ إلى قيامة الآخرين معنا، سندخل بالفعل في مجد قيامة المسيح.

ومجد المسيح سنحسه في كل جهد، في كل دمعة، في كل تضحية، في كل خسارة نحتملها من أجل قيامة الآخرين معنا حتى يصبحَ المسيح قيامتنا كلنا.[٢٠]

---

(٢٠) كتاب القيامة والصعود، مقالة: قيامتنا كلنا ص٢٧

الأحد الخامس من الخمسين المقدسة

(يوحنا١٤: ١-١١)

[«لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ». قَالَ لَهُ تُومَا: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً. وَمِنَ الآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ». قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ: «يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هذه مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا.]

يسوع هو الطريق للحياة الحقيقية

الحياة المقصودة هنا هي الحياة الأبدية، فالحياة الجسدية لا يُعترف بها كحياة لأنها مغلوبة للموت، وهي لذلك لا تُحسب عند الله أكثر من أنها حياة في الموت، أو كتصريح المسيح في قصة الابن الضال: «**لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد**»، وكتصريح بولس الرسول عن المرأة المتنعمة: «**فقد ماتت وهي حية**». أما الحياة الحقيقية فهي حياة في الله أو حياة كل منْ يعيش لله حسب الروح، فهو يستمد حياته من الله.

نحن لم نكن نعرف شيئاً عن الحياة الأبدية ولا كنا نظن أن الله سيهبها لنا، ولكن التي فجَّرت الحياة الأبدية في عالم الإنسان هي القيامة التي ظفر بها المسيح بغلبته على الموت كما عبَّر عنها ق. يوحنا: «**فإن الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا**».

وحينما يقول المسيح «**أنا هو القيامة والحياة**»، فهو كأنما يقول: أنا مخلصكم من الموت والفساد، أنا هو حياتكم ومجدكم، أنا الواهب لكم حب الله وفرح الرجاء وسر الخلود.

والقديس بولس الرسول يرى أن الحياة الأبدية التي دُعينا إليها هي هدف جهادنا وسعينا، والمطلوب من الإنسان أن يمسك بها: «**جاهد الجهاد الحسن وأمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت أيضاً**» (١تي٦: ١٢). فالحياة الأبدية هدف حي واقعي نمسك به هنا وهناك. (٢١)

---

(٢١) من كتاب ألقاب المسيح: أنا هو القيامة والحياة ص٢٧٧

هذه **الحياة** هي الغاية التي من أجلها جاء المسيح: «**جئت لتكون لهم حياة**». وهي النهاية التي من أجلها يعيش كل إنسان ويؤمن: «**وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه**».

أمام قبر لعازر وعندما كان يتخاطب مع مرثا كشف المسيح عن إمكانياته بخصوص إقامة الميت وإعطائه الحياة، قال: «**أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد**». فالذي يؤمن بالمسيح يدخل هذه الحياة الأبدية الآن مباشرة بدون موت ولا دفن، بحيث لا تتوقف هذه الحياة الأبدية بعد ذلك إطلاقاً لا بموت ولا بأي شيء آخر.

الذي يؤمن بالمسيح لا يعود ينتظر القيامة في اليوم الأخير حتى يرى الحياة الأبدية، لأن المسيح ظهر أنه هو القيامة نفسها الآن وفي هذه الساعة، فنحن الآن لا يعطلنا موت عن قبول الحياة الأبدية، لأن المسيح الذي نؤمن به هو حياتنا كلنا. كذلك لا يعطلنا الآن انتظار القيامة العتيدة لأن المسيح الآن هو "قيامتنا كلنا". يا لهذا العزاء العظيم!!

المسيح يرفعنا منذ الآن إلى حالة حياة حقيقية لا يؤثر فيها الموت الجسدي ولا يوقفها قبر ولا يقلل من قوتها اضمحلال الجسد وفناؤه، لأنها قيامة حقيقية بالروح والحق، قيامة إلهية في الله، كل من يدخلها يبقى حياً إلى الأبد، حياً في المسيح، لا يفقد من كيانه إلا ما فسد منه. لذلك يتحتم أن يفقد الجسد فساده حتى يسترده جديداً في عدم فساد.

المسيح لا يلغي الدينونة أو القيامة في اليوم الأخير، ولا ينفي أن الحياة الأبدية ستُستعلن جهاراً في القيامة بظهوره؛ ولكنه يزيد على ذلك كله أن القيامة والعتق من الدينونة الآتية والحياة الأبدية كلها دخلت إلى العالم بدخوله واستُعلنت وظهرت لكل من آمن ويؤمن بموته وقيامته حياً من الأموات: «**الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**».

إذن لا خوف من الموت بعد الآن، ولا تشاؤم من عجز الإنسان، ولا رُعبة من دينونة قادمة، فقد طُعِّمنا في جسد ابن الله فسرت فينا الحياة الأبدية وعبرنا خطورة الموت واللعنة والفساد، وتجاوزنا حكم الدينونة بالضرورة، لأن الذي يدين أصبح هو نفسه محامينا بل مُبرِّئنا، بل قد صرنا متحدين بقاضينا!

كل من يتحد بالمسيح الآن فإنه يوهب الحياة الأبدية في الحال بحيث أن القيامة في اليوم الأخير تأتي مُضافة أو مُترتبة على شرط حصولنا على الحياة الأبدية منذ الآن.

هذه الحياة الأبدية التي تُمنح لنا لا يمكن الحصول عليها إلا بالمسيح ولا توجد وسيلة لدخولها فينا ودخولنا فيها إلا بالاتحاد بجسد المسيح ودمه: «**من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير**»، «**فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم**» (٢٢).

الحياة الأبدية ليست مجرد وعد ننتظره بعين الإيمان، بل هي روحٌ

---

(٢٢) كتاب الإيمان بالمسيح ص١٥٩

حيٌّ، إنما روحه أسكنه داخل قلوبنا يعمل لحسابه. وقد ينشط الروح حتى يغطي كل منافذ وحركات الجسد، فلا يشتاق الجسد إلا إليه. فالحياة الأبدية عند الذين عرفوها وعاشوها حياة تصغر دونها الحياة الحاضرة، يرتقي فيها المجدُّون من مجد إلى مجد، وتتغير أشكالهم الروحية عن صدق وتحقيق لكي تُعدَّ لتكون على صورة خالقها بكل الحق: «**أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظْهِرَ نكون مثله، لأننا سنراه كما هو**».

فحالنا الآن كحال جماعة أو فرقة تمثيل تتدرَّب باهتمام بالغ على الأدوار التي أُعطي لكل واحد أن يمثلها، فنجد الواحد فيها يظل ليل نهار يحفظ ويسمع دوره، ويقف أمام المرآة ويلقي دوره فلا يعجبه الأمر، فيعود ويُحسِّن من أدائه وكلماته وحركاته. حقاً يا إخوة، ستباغتنا لحظة سيُرفع فيها الستار؛ فإذ نحن فوق، نأخذ مواقعنا عن حقيقة وليس عن تمثيل. هنا نلبس الأقنعة، رضينا أم لم نرضَ. فيا نعيم مَنْ لَبِسَ قناع الضعف والفقر والمسكنة؛ وأتقن دوره بصدق القلب حبًّا في الذي افتقر وهو غنيٌّ، ولَبِسَ الضعف وهو رب القوة، وتَمسْكَنَ وهو ابن الله. لأن هناك ستُرفع الأقنعة وتوهَب أكاليل المجد. انظروا، فالحياة الأبدية فينا وتبدأ من هنا بكل معطياتها ولكن تحت أقنعة، فلا يُرى منها إلا شقاء هذا الزمان.(٢٣)

---

(٢٣) من كتاب ألقاب المسيح: أنا هو الطريق والحق والحياة ص٢١٠

ليتكَ، يا ربِّى، تعيد لكنيستك صُلْحها وسلامها، أسباذستا بالحق وبالفعل وبالقوة، تسكن كنيستك يا ربِّى لتكون القبلة بالقلب، ليتصالَح أعضاء كنيستك رؤساء بمرؤوسين أساقفة مع كهنة؛ وكهنة مع شَمامسة؛ والكل مع شعبك، ليقدِّم لكَ الشعب عبادة مقبولة كما من فم واحد.

ثُمَّ يا ربِّى، أنتَ الذي أنشأتَ كنيسة واحدة وليست كنائس. لم تُقسِّم الرسل إلَى قسمَيْن ولا إلى خورسَيْن قبلى وبَحرى أو شرق وغرب، بل جعلتهم خورساً واحداً أريتهم دمك، ثم أريتهم حبك وقلتَ لَهُم: إن كنتم تلاميذي فليكن بينكم حبٌّ، فليقم بينكم الحب والسلام، ليعرفوا أنكم تلاميذي.

سيدي الرب، إن انقطع الحب والسلام بين أعضاء الكنائس، فهي كاذبة إن قالت إنَّها كنيسة رسل، وهى كاذبة إن قالت إنَّها كنيسة واحدة مقدسة.

فالآن؛ يا ربِّى؛ يا مَنْ أسكنتَ التلاميذ قوة قيامتك فائتلفوا بِها وحلَّ الروح القدس بسبب هذه الألفة وامتلأت كنيستك الأولَى مواهب وقوى ونعمة فوق نعمة. الآن افتقد كنيستك يا ربِّى، المنقسمة المفتَّتة، ليعود لَها صُلْحها وسلامها، ليعود لَها ألفتها، لكي يَحلّ روحك القدوس فيها ويعيد إليها جَمالَها وبَهاءها وينسكب عليها روحك القدوس يا رب.

أمين، اسْمَع يا رب في كنيستك في هذا اليوم المبارك، ألقِ صلحاً وسلاماً على وجه الأرض كلها حتَّى يهتم كل إنسان بِخلاص نفسه. (٢٤)

---

(٢٤) صلوات الأب متى المسكين ص١٢٦

عشية عيد الصعود

(لوقا٩: ٥١- ٦٢)

[وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهاً نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً؟». فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ. فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى. وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وَقَالَ لآخَرَ: «اتْبَعْنِي». فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً: «أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ»].

أربعون يوماً بعد القيامة أمضاها المسيح بين تلاميذه «**الذين أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله**». (أع٣:١). هذه الفترة الزمنية المحددة التي عاشها المسيح على الأرض بجسده الذي عبر به الموت والقبر حياً، تُعتبر أعظم وأثمن موهبة وهبها المسيح لطبيعتنا البشرية.

فبإمكانية القيامة من الأموات والحياة مرة أخرى بجسد مُنزَّه عن الآلام والموت والفساد لم تكن من طبيعة الإنسان أصلاً، فالإنسان معروف أنه أصبح مائتاً بطبيعته بعد أن أخرجته الخطيئة من جنة الحياة مع الله، وهو وإن أُقيم من الموت أحياناً بأمر الله، فهو إنما كان يقوم ليموت أيضاً كلعازر، ولكن أن يقوم الإنسان ليحيا إلى الأبد مع الله بجسد لا يفنى ولا يتدنس ، فهذه عطية المسيح الفائقة الوصف والكرامة التي منحها لنا لما قام بالجسد الذي أخذه منا.

إذن فكل من آمن بقيامة المسيح من الأموات يكون قد آمن تلقائياً بقيامته هو نفسه، فالإيمان بالقيامة هو قيامة بحد ذاته، لأن كل ما للمسيح قد وهبه المسيح لكل من آمن به.[٢٥]

(٢٥) كتاب القيامة والصعود، مقالة: ما بين القيامة والصعود ص٣٦١

ما هو الصعود؟

هو إعلان منظور لدخول المسيح الأقداس العليا ليتسلم من الآب سلطانه ومجده وملكوته كما سبق الله وأنبأ بذلك على فم دانيال في رؤياه: «**كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقربوه قدامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**» (دا٧: ١٣و١٤). هذا ما حققه المسيح في نفسه وأعلنه بفمه بعد أن أكمله بصعوده وجلوسه عن يمين الآب: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: «**دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر**».

صعد لنُجلسنا معه في السماويات

غاية الصعود هي «**الجلوس**» عن يمين الآب، حيث الجلوس يعني التساوي، «**وعن اليمين**» يعني النيابة الدائمة والحاضرة مع الآب في كل شيء. فالمسيح بجلوسه عن يمين الآب يكون قد استلم بالفعل كل ما للآب من مُلك وسلطان وقدرة ومجد وقضاء الدينونة على كل الخليقة مما في السماء وعلى الأرض «**لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض**». ولكن هذا الصعود والجلوس عن يمين الآب هو مثل الموت والقيامة، لا يُنسب للمسيح كأن المسيح مات لنفسه كمستحق لهذا الموت، أو قام لنفسه كأن القيامة لم تكن فيه، كذلك فالمسيح لم يصعد لنفسه كأنه لم

يكن في حضن الآب لحظة ما أو انفصل عن السماوات وقتاً مـا. بـل إن المسيح كما مات ببشريته أي بالجسد ودُفن من أجل خطايانا وقام وظهـر ببشريته أي بالجسد من أجل تبريرنا، هكـذا صـعد ببـشريته ليُجلـسنا ويُمجدنا معه في السماوات: «**أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات**».

صعد لأنه غلب، وغلب لذلك أعطي أن يدين:

وهكذا أصبحت قيامته وصعوده بمجد الله وجلوسه عـن يمـين الآب لا تُحسب له اختلاساً، فالذي «**صعد**» هو الذي «**نزل أولاً**»، فإن كان نزوله وتنازله لم يُحسب نقصاً في لاهوته، فإن صعوده وجلوسه عـن يمـين الآب بمساواة لا يُحسب له اختلاساً. وإن كان ليس نقصاً لمن تنـازل وتجـسد وأخذ صورة عبد واتضع وأطاع حتى الموت وقهر الخطيئة بصليبه ودانها في الجسد وأباد حكم الموت وأذل من له سلطان المـوت، فلـيس زيـادة أو اختلاساً بعد ذلك أن يجلس عن يمين الآب ويأخذ منه كل قضاء الدينونـة وكل سلطان فوق كل خليقة كقول الرسول: «**إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه**»

كذلك فإن كان صعود المسيح فوق جميع السماوات وترأُسُـهُ فـوق جميع الرئاسات بسيادة مُطلقة هو نتيجة حتمية مباشرة لانتـصاره علـى الخطية والموت وكل الرئاسات التي عملت في ذلك الموت، يكون بالتـالي جلوسه عن يمين الآب هو التعبير الحتمي الذي يشرح بدء الدينونة والقـضاء،

أو بمعنى أوضح يُحدد بدء مُلك المسيح أو ملكوته على كل خليقة ورئاسة في السماء والأرض.

فإن كان ملكوت المسيح لم يُستعلن بعد على مستوى العالم كله؛ إلا أنه مُستعلن سراً في كنيسته الآن بصورة قوية وفعالة ومنظورة. فالكنيسة الآن هي ملكوت المسيح المخبأة في وسط العالم بشبة الخميرة الصغيرة المُخبأة في الثلاثة الأكيال دقيق التي تجوز زمان تخميرها سراً.

شركة في الموت قبل شركة في المُلك:

ولكن لكي تدخل الكنيسة في سر صعود الرب وجلوسه عن يمين الآب، أو بالحري لكي تدخل في شركة سلطان المسيح الفائق فوق كل رئاسة وسلطان وسيادة في السماء وعلى الأرض لإعلان وتنفيذ ملكوت المسيح في العالم، لابد أن تكون قد جازت شركة مسبقة معه في آلامه وموته وقيامته. ولكن شركة الآلام والموت والقيامة ليست جماعية بل هي فردية، لا تجوزها الكنيسة معاً كجماعة ولكن يجوزها كل فرد بمفرده، لأن من أخص خصائص الألم والموت أن يكون فردياً: «**دست المعصرة وحدي**». الكنيسة تجمع لنفسها خبرات الألم وموت أولادها، تجمعها معاً وتضيفها لحسابها ككل! وكل من لم يتجرأ ويدخل شريكاً في آلام المسيح وموته أو جزع من نير الصليب وتهرب منه لا يجوز على سلطان ملكوت المسيح ولا يُستأمن على سر الشركة في قوة كلمته وقضائه وإعلان ملكوته.

من جهة هذا يصرخ بولس الرسول مراراً وتكراراً مُشجعاً ليسكب فينا روح الجرأة والقدوم، لندخل في سر شركة الصليب أي سر شركة الموت، سر شركة الاستعداد لسفك الدم طواعية مع المسيح، واضعين دائماً حكم الموت في أنفسنا لكي نعيش قيامتنا الأولى معه فلا يكون العالم حياً بعد في كياننا، حتى نستطيع أن نحكم عليه من موقع جلوسنا مع المسيح في السماء ولا تكون أهواؤنا لها سلطان فينا لئلا تبطل سلطان المسيح من قلبنا وفمنا.

الجسد الكسور على الصليب صعد، فصار الطريق الوحيد إلى السماء:

القديس بولس يصوِّر لنا صعود المسيح إلى أعلى السموات وكأنه يفتتح طريقاً جديداً إلى الأقداس العليا في السموات باعتباره كاهناً أعظم على بيت الله (السماء)، ولكنه يؤسس هذا الطريق لا بكلمة ولا بسلطان وقوة ولكن بجسده الذي حمل عليه كل خطايا البشرية فرداً فرداً مبتدئاً بآدم حتى آخر إنسان على الأرض. وإذ مات وتبرَّأ من كل خطايا البشرية تبرَّأنا فيه فصار جسده مُهيَّئاً أن يصعد بلا مانع إلى أعلى السموات ويجلس بكل كرامة ومجد الابن (متجسداً)، فصار جسده (الذي هو جسدنا) الصاعد هو هو الطريق الوحيد؛ الذي إذ نتحد به، نعبر فيه إلى أعلى السموات- إلى الآب- إلى الأقداس العليا: «**فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومُغتسلة أجسادنا بماء نقي** (المعمودية الطاهرة) **ولنتمسك بإقرار الرجاء هذا راسخاً لأن الذي وعد هو أمين**». (عب١٠: ١٩-٢٣)

كان الطريق والباب نحو الله الآب قد أُغلق في وجه الإنسان، لأن الخطية فصلت قلب الإنسان عن قلب الله، الإنسان تلهَّى بنفسه كغاية وجوده وارتاح لذاته كأصل وسبب كل شيء، فأُعميت بصيرته القلبية والذهنية عن رؤية خالقه الأصل والغاية لوجوده الحقيقي، وكانت الخطية هي السبب في هذا العمى والبعد عن الخالق.

المسيح رفع الخطيئة من الوسط، رفعها من على الإنسان ووضعها على جسده ودانها في نفسه وقضى عليها بالموت في جسده، فألغى كل سلطانها، وهكذا انفتح الطريق المغلق، فتحه بجسده الذي انكسر على الصليب بالخطيئة ثم قام به مُبرَّأً وصعد به ممجداً، فصار هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى الآب. ليس لدى الإنسان طريق آخر قط إلى السماء غير جسد المسيح، لأنه من خلاله تسقط كل خطيتي وتنفتح بصيرتي.

لذلك، إن كان يوم صعود الرب وجلوسه عن يمين الآب هو بدء واستعلان قدرة المسيح الفائقة وسلطانه وملكوته في الكنيسة، فما ذلك إلا لأنه سبق فاستودع الكنيسة سر جسده الذي أصبح هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى السماء الذي من خلاله تستمد الكنيسة شركتها في بر المسيح أولاً ثم شركتها في مُلك المسيح وسلطانه ثانياً.(٢٦)

---

(٢٦) من كتاب القيامة والصعود، مقالة الصعود ص٣٦٨

صلاة

نتوسَّل إليك أن يكون يوم صعودك؛ أي يوم صعودنا؛ يوم حيٍّ فعّال في حياتنا، لكي لا نُحسَب مربوطين على هذه الأرض ولا بتُراب هذه الأرض، مَيِّتين وأولاد مَيِّتين نطلب ما يطلبه الميِّتون، ولكن نطلب ما يطلبه القائمون الذين عيونُهم مرفوعة دائماً إلَى السماء، نطلب ما فوق، نطلب النصيب الذي لا يتدنَّس ولا يضمحلّ المَحفوظ لنا والمكتوب اسْمُنا عليه.

فاجعل، يا ربِّي، من إنجيل صعود هذا المساء إنجيل حياتنا. نضع أيدينا على محراث السماء كفلاحي كتابك؛ كفلاحي السماء وليس الأرض، ناظرين إلَى فوق في خط مستقيم غَيْر مُلْتوٍ يا ربِّي. لا تَجعل لنا قلباً مُلْتوياً ولا ضميراً ملتوياً ولا رؤيتَيْن، ولا نرى سواك يا ربِّي. نعيش في هذا العالَم، نرى كل يوم وجوه مئات وألوف ولكن لا نرى أحداً قط إلاّ وجهك، لأننا وضعنا يدنا على المحراث، ولن تنطبع صورة إنسان قط على قلبنا، لأننا نرى ما فوق، شبكية عيوننا لا ينطبع عليها مناظر الطبيعة الأرضية، لا ينطبع عليها وجوه أولاد التراب المائتين ولكن ينطبع عليها فقط صورة السمائيين.

فاليوم يا ربِّي، يوم تأمين خلاصنا وآخر مرحلة في مراحل عبورنا من الموت إلى الحياة. هكذا أمَّنْتَ خلاصنا يا ربِّي بأن جعلتنا شركاء في ملكوتك، لا ساعين إليك ولا مُترجِّين الوصول إليك، ولكن شركاء فيك وجالسين مع الحاكمين، لا مع الضيوف ولا مع الخارجين، ولكن جالسين مع الذين يَملُكون، يَملُكون على العالَم ويَحكمون على الملائكة.[٢٧]

---

(٢٧) صلوات الأب متى المسكين ص١٣٢

(لوقا٢٤: ٣٦- ٥٣)

[وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحاً. فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ انْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ، قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟ فَنَاوَلُوهُ جُزْءاً مِنْ سَمَكٍ مَشْوِيٍّ، وَشَيْئاً مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ. وَقَالَ لَهُمْ: هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ، أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ. حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي. وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَجَعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ، وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللهَ.]

فلنفرح، يا آبائي، بهذا العيد، الذي به أجلسنا معه في السماويات، وأعد لنا المكان السعيد، الذي سبق فتكلم عنه الذي هو معه عن يمين العظمة في الأعالي.

لقد صرنا في المسيح مُصالحين مع الآب إلى الأبد، محفوظين برضى ورحمة القدير؛ وليس كما كان آدم الأول في مجرد فردوس وشجر مُثمر، يفتقده الله من حين إلي حين؛ ولكن صرنا في فادينا الحبيب مع الله على الدوام. أما إن كنا الآن مُتغربين عن وطننا السماوي، متألمين يسيراً فذاك لكي يتزكى إيماننا ونوجد أهلاً لهذا النصيب الفاخر.

فنحن الآن بالإيمان نعيش بالرجاء الذي سكبه المسيح فينا، وبالحب الذي يُحوِّل الألم إلى لذة، وغير الموجود يجعله أمامنا موجوداً بالرؤيا القلبية التي بالنور الخفي ترى النور غير المنظور، متوقعين بالصبر والشكر لحظة اللُّقيا التي نحظى فيها بوجه الحبيب، فلا يعود يُنتزع منا.

كانت مسرة المسيح قبل أن ينطلق إلى الآب، والتي أعلنها في صلاته الوداعية هي أن نكون نحن حيث يكون هو على الدوام لنرى مجده ونوجد فيه. وهذا هو عين ما رآه اسطفانوس الشهيد، فما أن رآه وتحقق منه، سهُل عليه أن يخلع خيمته الأرضية بسرعة، ناظراً بيقين الإيمان والعيان معاً المكان الذي أعده المسيح له، والبناء العجيب الذي في السماء غير المصنوع بيد، الأبدي، جسد المسيح الذي يملأ الكل.

لأجل هذا يدعونا القديس بولس الرسول بإلحاح سري لا يفهمه إلا الواصلون بالروح لسر الوجود الإلهي: «**إن كنت قد قمتم مع المسيح ؛ فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس**»، والذي معناه أن القيامة وحدها لا تكفي؛ فبعد القيامة أمجاد الوجود في الحضرة الإلهية حيث جلس المسيح بنا عن يمين الآب، ولكن هذا رهن طلب الذين أحبوا المسيح و لم يطيقوا أن يبقوا بدونه أبداً. فحيث المسيح يوجد الآن يكون لنا حق الوجود. وطلبنا هذا هو من صميم طلب المسيح نفسه ومسرته التي سبق وأن ألح على الآب أن يمنحها لنا كلما طلبناها، لأنها صارت من حقنا بسبب بشريتنا التي اتحد بها بوفاق وحب وعهد أن لا يخلعها أبداً ولا يهجرها إطلاقاً ولا ينساها لحظة واحدة ولا طرفة عين.

أما أن نطلب ما فوق حيث المسيح جالس؛ فهو أن نطلب الوجود الدائم في حضرة الله، الذي صار لنا حقاً أبدياً في المسيح، نطلبه الآن بدموع وإلحاح. فإذا ما أخذناه لا يعود يُنتزع منا لأنه نصيبنا المحفوظ لنا في السموات، الذي لا يتدنس قط بسبب قصورنا بعد، ولا يضمحل بسبب اضمحلال كياننا الجسدي.

الوجود في حضرة الله، بإحساس الاتحاد بالمسيح الذي أكمله فينا ولنا مجاناً، هو سر السعادة التي وفرها المسيح لنا في وسط أحزان العالم، وهو كفيل بأن يعطي الإنسان سلاماً قلبياً يفوق العقل بكل اضطراباته وعجزه.

ولكن، هذه الحضرة ليست مسرة نلهو فيها؛ بل هي عينها الصلاة، الصلاة في ملء حرارتها، والتي فيها يهدأ الجسد وترتاح النفس وتبتهج الروح.

وإن كان ينبغي أن نئن كثيراً في أنفسنا من أجل ثِقل الجسد، ونشتاق في أنفسنا أن نلبس فوقه الذي من السماء، ولكن هذا غير ممكن، فلابد من خلع الفاسد أولاً حتى نستطيع أن نلبس المسيح ونوجد فيه بلا مانع. لذلك سوف تظل صلواتنا ممزوجة بالدموع، وفرحتنا بالوجود في الحضرة الإلهية يشوبها أنين الحسرة من أجل عدم قدرتنا الآن على لبس السماوي، ولكن لنا ثقة أنه كما لبسنا الترابي سنلبس السمائي أيضاً، ولن نوجد أبداً عُراة من نعمة الله، لأن الذي خلقنا هو نفسه أعاد خلقتنا وهيأها للتجديد في ملء القداسة وبر الله.

الرسول بولس يلح: «**اطلبوا ما فوق**»، ولكن هل يمكن إنسان يطلب ما هنا، ويسعى وراء تراب الأرض، ويشتهي ما في يد الناس؛ ثم بعد ذلك يستطيع أن يرى ما فوق أو يطلبه؟؟ فإما أن نسعى إلى أن نستقر على الأرض ليكون لنا فيه فرحنا وسرورنا؛ وإما أن نرفض ما هنا لنتفرغ لطلب ما هو فوق لمجد الله.

الذي يسعى وراء كرامة على الأرض يطلبها في قلبه ويشتهيها في نفسه، لا يمكن أن يتبقى له قوة إيمان بما فوق يمكنه أن يشد نفسه إليها ويطلبها...

الذي يطلب ما على الأرض، لا يمكن أن يقوى على طلب ما هو فوق.

الذي لم يتفرغ بالحق لطلب ما هو فوق، هو محروم من مجد الصعود، وضيَّع على نفسه ثمرة الصليب والقيامة. لأن المسيح احتمل الأحزان والآلام والصليب من أجل السرور الموضوع أمامه، سرور المصالحة في آخر

مراحلها عندما قدَّم البشرية التي فيه للآب مفدية مُبرَّأة مُطهرة مغسولة بالدم، وأجلسها معه عن يمين الآب!

فكما تكللت آلام الصليب بالقيامة، هكذا تكللت القيامة بالصعود والجلوس عن يمين الآب. لذلك ففي الصعود سر الاحتمال العظيم لكل ألم حتى الموت! وفي الجلوس في السمويات مع المسيح نهاية كل رجاء وكل فرح، بل وغاية كل الخليقة العتيقة والجديدة.

من الملابسات ذات المعنى وذات الفعل في إنجيل عيد الصعود قوله: «**وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم، وأُصعد إلى السماء**». لا يمكن أن ندخل حالة الصعود بالروح، يا إخوة، أو نتذوقها إلا إذا كنا في الحالة عينها، أي: «وفيما نحن نبارك»، لابد أن نكون على مستوى الصلاة والبركة على كل إنسان، على كل مُضطهد، على كل مسيء أو شاتم أو مُعيِّر أو مُخرج كل كلمة شريرة علينا، لابد أن يكون قلبنا في حالة صفح كلي وسلام صادق وحنو ومودة لكل إنسان، حتى نستطيع أن ننفك من قيود جاذبية الأرض والتراب وننطلق في إحساس الصعود ونتذوقه ونعيشه بالروح والحق.

ثم لابد أيضاً أن نكون في حالة: «**وانفرد عنهم**» حتى يمكن أن نمارس حالة إصعاد يُتممها فينا المسيح فوق العالم. (٢٨)

---

(٢٨) من كتاب القيامة والصعود ص٣٧٦

صلاة

أيها الرب المُقام لتحمل على كتفيك عار الإنسان، لكي لا يُحسَب بعد ابناً للتراب والموت، بل ابناً للسماء والله والملكوت.

اليوم يا ربِّى إذ نُعيِّد لصعودكَ إلَى السماء، نراكَ يا رب وقد أخذتَ أسْماءنا مكتوبة كلها في قلبكَ، ومع أسْمائنا أرواحنا لتصعد بها اليوم كالعام الماضي كالذي تَمَّ منذ ألفى سنة وكالسنين الآتية، تصعد بنا لتقدِّمنا إلَى الله أبيك في شركة ملكوتك، لكي لا نعود نُحسَب بعد مُدانين تَحْت ثقل ضمير الخطايا، مديونين بأعمال ميتة لا نستطيع أن نعطى عنها جواباً في يوم الدينونة، إذ نذكرها الآن أمامك بوعد يَملأنا خزي الوجوه ونصرخ بأنّاتٍ مُوْجعة مُتوسِّلين أن لا تَجعل لنا دينونة مع العالَم.

نعم يا رب، صعودك إلَى السموات أعطانا صَك أنه يُمكن أن تُرفَع من على كتفنا؛ ومن على ضمائرنا ثقل حكم الموت والدينونة، لا ببَراءة لأننا أخذناها على الصليب، ولا بخلقة جديدة التي أخذناها بالمعمودية بالقيامة من الأموات، ولكن بنوال حَقّ أن نكون معك في ملكوتك: "أمين هو الله الذي دعاكم إلَى شركة ابنه يسوع المسيح"، "أمين هو الله الذي دعاكم إلى شركة ابنه يسوع المسيح". نعم يا رب، فلتكن أمين إلَى الأبد، ولتجعل شركتنا مع يسوع المسيح شركة صادقة لا ميِّتة، لا بكلام نقوله ولكن بحياة نَحياها بضمير غَيْر لائم، لا بضمير مُشْتكٍ أو مُحتَجّ ولكن بضمير يَحسّ بالغفران والتطهير والسلام من جرّاء فعل غسل دمك بالرش الداخلي كل يوم بفعل كلمتك وسرِّكَ الإلَهي.[٢٩]

---

(٢٩) صلاة على عظة: صعود المسيح كساق لأجلنا، صلوات الأب متى المسكين ص١٢٩

الكنيسة ولمدة ٥٠ يوماً لا تكف عن ترديد تحية القيامة وتقول بكل قوتها: المسيح قام!.. بالموت داس الموت!

فإذا كنَّا فعلاً نؤمن بهذا، ونقولها بكل قلوبنا، فعلينا أيضاً أن نثق أن المسيح لم يدُسْ ويغلب الموت فقط؛ بل أنه أمات الخطية أيضاً، ألغى الخطية.

المسيح اليوم صالح البشرية في نفسه بالآب، صالحها صلحاً أبدياً. وبهذا الصلح ألغى نهائياً مفهوم التعدِّي، فأصبح الإنسان اليوم مُبرأً تماماً وغير متعدٍ على الله الآب. لا يوجد إنسان نقول إنه متعدٌ على الله والمسيح موجود فيه! هذه مضادة لن تكون. نعم، بدون المسيح، يوجد متعدُّون كثيرون؛ ومن ليس له الابن يمكث عليه غضب الآب. ولكن اليوم، فلا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع. لماذا؟ لأنه حدث صلح بين الإنسان والله. هذا هو إيماننا بالمسيح. وكل من هو في المسيح يسوع فهو أمام الله الآب بلا لوم في المحبة، بار وقديس.

في الحقيقة، إن الذي عمله المسيح بالنسبة للبشرية هو عمل كبير جداً جداً. لقد نقض الحاجز المتوسط بين الإنسان والله، وبين الإنسان والإنسان. أصبح الإنسان، كل إنسان في حالة صلح وسلام مع الله الآب.

ولكن قد يسأل سائل: **فأين هي إذن الخطية؟!**

لم تَعُد هناك خطية، طبيعة الخطية أُلغيت تماماً وإلغاءً كلياً، لم تعد الخطية

قادرة أن تحجب صلاح الله عنا، نحن الذين في المسيح يسوع. لذلك فالخطية لا تستطيع أن تفصلني عن المسيح أو تحرمني منه، لأني إذا قلت هذا، أكون كمن يُلغي المسيح ويُلغي دمه وصليبه. فعمل المسيح الوحيد على الأرض هو إلغاء الخطية، ولا توجد خطية على الأرض تستطيع أن تقف أمام المسيح.

تصوَّر معي أشرَّ خاطئ على الأرض، واضرب خطاياه في عشرة، وضع عليها خطايا كل البلد، ثم كل القارة بل كل القارات من أول آدم حتى آخر إنسان، وضعها على رأس هذا الشخص، فلن تستطيع كل تلك الخطايا أن تفصله عن قلب الله الآب طالما له علاقة بالرب يسوع، فهو فيه مُصالح ومُبرَّر. فالأمر ليس بكثرة أو قلة أو بعمق الخطية وارتفاعها، كل هذا ليس له أهمية، ولكن الأمر الخطير جداً هو جوهر الخطية القتَّال. ولكن شكراً لله، فالمسيح على الصليب نزع سُمَّ الخطية المُميت، وبدلاً من الخطية والموت الذي توارثته الأجيال وراء الأجيال، حتى صار الكيان البشري كله مُلوَّثاً؛ جاء المسيح وحقن البشرية بدمه، وأخذ الإنسانُ قوةً داخليةً، قوةً كيانيةً هائلةً ضد الموت وضد كل مفاعيل الخطية المُمرضة المُميتة.

لذلك فالإحساس بالخطية القاتل والمُميت لم يَعُدْ إحساساً صادقاً بالنسبة لإنسان يعيش في المسيح يسوع.

إياك أن تعتمد على إحساسك، أنت الآن تحيا في نور المسيح، في شمسه المشرقة. ودور الشيطان هو التزييف، هو محاولة إيهامك إنك في الظلمة،

يكذب عليك قائلاً: إنه لا فائدة، يوهمك أنك لن تقدر ولن تستطيع... وكل هذه أكاذيب في أكاذيب، كل المطلوب منك أن تخرج من الظلمة التي أنت فيها. الخطية لم يَعُدْ لها سلطان، تماماً كعقرب انقطع ذيله، أو ثعبان انتزع نابه. المسيح نزع ناب الشيطان الذي كان يعض به الإنسان. أصبح الشيطان بالنسبة لأولاد المسيح غير قادر أن يميتهم بالخطية التي كان يسكبها في عقولهم وأجسادهم ويحرمهم بها من النور الأبدي. نحن أقوى من الشيطان. الذين معنا أقوى من الذين علينا.

اليوم لم يَعُد للشيطان قدرة أن يزعج الإنسان أو يُلوِّث ضميره أو يطرحه في يأس أو شك من خلاص نفسه.

المسيح ، على الصليب حمل كل خطايانا، فأفنى على كل خطية، ألغى كلَّ عقاب.

ولكن، ما هو الدليل على محو الخطية؟ ما هو الإثبات على الفداء الذي تم على الصليب؟

الدليل هو: قيامة المسيح في اليوم الثالث، الدليل هو جسده الذي قام.

فلم تعد الخطية موجودة لأن جسده حي، ولن يسود عليه الموت فيما بعد. وهكذا انتهت الخطية نهائياً وإلى الأبد. «الموت الذي قد ماته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحياها فنحياها لله وذلك إلى الأبد».

وهكذا فإن المسيح أثبت ما عمله على الصليب بحمله خطايانا بالجسد، أثبته بقيامته من الأموات، وأن هذا الجسد حي. فالمسيح قام حياً بعد

معركة ضد الخطية في أعماقها.

المسيح واجه الخطية بلاهوته، بفعل الدم الإلهي.

نحن نقول، كأثوذكس: **[طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد]**. فقوة اللاهوت التي في الدم أحرقت الخطية التي في دم الإنسان، ليسا بعد طبيعتين بل طبيعة واحدة.

المسيح رفع خطية البشرية، تلقى في جسده كل خطايا الإنسان، ثم قال: خذوا اشربوا هذا هو دمي الإلهي الذي فيه كل القوة القادرة أن تُلغي الخطية بكل مفاعيلها القاتلة. لقد صار كل من يشرب دم المسيح لا يغلبه موت ولا تغلبه خطية. صارت الخطية شيئاً معدوماً، شيئاً لا كيان له، اللهم إلا في مظهرها وشكلها الخارجي المخيف والمُزيَّف، أما في الجوهر فلا قوة لها ولا سلطان أو تأثير.

نشكر المسيح، نشكر الله، لقد أعطت قيامة المسيح برهاناً على أن الخطية غير قادرة أن تُميت الإنسان مرة أخرى! المسيح قام من الأموات، بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية.(٣٠)

---

(٣٠) عظة بعنوان: قوة القيامة والحياة الجديدة سنة ١٥/٧٣

صلاة

يا ابن الله، يا مَنْ صعدتَ بنا إلى الآب وقدَّمتنا لنكون أمامه كل حين فيك وبكَ وأنتَ لنا شفيع وضامن وضمين لتكميل خلاصنا إلى النهاية.

أعطنا سرّ قيامتك وسرّ صعودك وسرّ نفخة روحك القدوس فينا لنستمتع بقية أيام حياتنا، يا ربِّي، في حياة جديدة، في خليقة جديدة.

ننسى ما فات، ننسى ما وراء ونَمتدّ إلى ما هو قدّام لعلَّنا نبلغ إلى قيامتك.

نعم، يا ابن الله بلِّغنا إياها؛ بل قد بلغناها فيك وسوف نأخذ استعلائَها يوماً بعد يوم.

بارك، يا ربِّي، هذا اليوم ليكون لنا فيه غِنَى وليكون لنا منه تسبحة تدوم معنا إلى الأبد.

مبارك اسْمك من الآن وإلى الأبد، آمين.[٣١]

---

(٣١) صلاة على عظة لا تلمسيني، صلوات الأب متى المسكين ص١١٨

الأحد السادس من الخمسين المقدسة

(يوحنا ١٦: ٢٣- ٣٣)

[وَفِي ذلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَسْأَلُونَنِي شَيْئاً. اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً. قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا بِأَمْثَالٍ، وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ، بَلْ أُخْبِرُكُمْ عَنِ الآبِ عَلاَنِيَةً. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُبُونَ بِاسْمِي. وَلَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي، وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ. خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ». قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «هُوَذَا الآنَ تَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً وَلَسْتَ تَقُولُ مَثَلاً وَاحِداً! اَلآنَ نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَحْتَاجُ أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ. لِهذَا نُؤْمِنُ أَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلآنَ تُؤْمِنُونَ؟ هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ الآبَ مَعِي. قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ»].

ثقوا أنا قد غلبت العالم

«قد كلمتكم بهذا، ليكون لكم فيَّ سلام، في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم».

بهذه الآية يكون قد انتهى حديث المسيح الأخير، وانتهى تعليم المسيح في إنجيل يوحنا. المسيح هنا يعلن لتلاميذه أنهم بعد صعوده سيبدأون يواجهون ضيق العالم من أجل اسمه. فقول المسيح سيكون لكم ضيق هو في الحقيقة ضيق مغلوب، يفضحه طفل صغير إن هو حمل الصليب في وجهه ودعا باسم الرب.

المسيح حينما يقول **«ثقوا أنا قد غلبت العالم»** فهذا لكي يُدخل إلى قلوبنا شجاعة المسيح وسلطانه، ويُزيد إيماننا تشديداً وقوة. فالذي أصبح معنا من قِبَل المسيح أعظم بما لا يُقاس مما هو في يد العالم والشيطان. فنحن بالمسيح غالبون غالبون، وبروح المسيح نسود فوق كل زعازع العالم الكاذبة.

فإيماننا بالمسيح مُحصَّن بقوة المسيح والروح القدس، إن نحن طلبناه والتجأنا إليه في كل ضيق. لأنه مكتوب أنه في كل ضيقنا يتضايق، وفي أنيننا يترعج **«شاول شاول لماذا تضطهدني»**. فاضطهاد المؤمنين يُسمِّع فوق، عند المسيح، فيئن بأنيننا ويترل لينقذنا. فنحن لنا الآن في السماء من يرثي لضعفنا ويقود مسيرتنا. فإن كان هذا هو عمل المسيح فينا، فنحن الآن أعظم من منتصرين.[٣٢]

---

(٣٢) من كتاب مع المسيح ج ٤ ص١٨٠

والذي يهمنا جداً في هذه الآية هو قول المسيح: «**ليكون لكم فيَّ سلام**»، المسيح لم يقل: {ليكن لكم سلام}، بل: «**ليكون لكم فيَّ سلام**»، فحينما ننهزم أمام التجربة، كما انهزم التلاميذ في محنة الصليب، وحينما نفقد السلام الذي فينا، فإنه يتبقى لنا: "**سلام في المسيح**"، فسلام المسيح هو القوة المُذخرة لنا حينما تنتهي قوتنا. يكفي أن نلقي همنا عليه لنجد فيه سلامنا المفقود: «**لأنه هو سلامنا**».

انظر كيف تحول انهزام التلاميذ إلى نصرة، وشكُّهم إلى يقين، وحزنهم إلى فرح إنجيلي ملأ المسكونة كلها. إن خبرة التلاميذ في هذا التحول القوي والغالب سلَّموها للكنيسة. الكنيسة بعد ذلك عبرت مثل هذه المحنة ومحن أخرى بلا عدد أقوى من محنة التلاميذ، وغلبت، وها هي غالبة وستغلب؛ والسر في ذلك هو سلام المسيح الذي تركه لها ميراثاً ثابتاً دائماً لها: «**وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**».

وليلاحظ القارئ المقارنة التي وضعها المسيح بين سلامه وبين ضيق العالم: «**ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق**». هنا المسيح يضع نفسه مباشرة في المقابل المضاد للعالم. هذه هي الحقيقة بغير مواربة، فالذين هم للمسيح ، فإن العالم يضطهدهم حتماً. ولكن السلام الحقيقي في المسيح يوازن الضيق في العالم. بمعنى أن الذين هم في المسيح هم فوق العالم دائماً. لذلك أكمل المسيح المعادلة المنتصرة بقوله:«**ثقوا أنا قد غلبت العالم**». هذه المعادلة قد لخصها ق. يوحنا: «**وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا**».

والآن يلزمنا أن ندخل قليلاً في اختبار الإيمان والسلام في المسيح، لندرك حقيقة غلبة العالم، لأن هذا بالحقيقة هو الميراث المسيحي العملي، الذي استلمناه من الإنجيل ومن القديسين الأوائل والشهداء والأتقياء الذين اختبروا المسيح وعاشوه، وغلبوا العالم وعبروا: فالإيمان العملي بالمسيح هو الثقة الكاملة والمطلقة بكل الكلام الذي قاله. فكل آية أعطاها لنا، هي كنز مغلق، سُلِّم إلينا لكي نغتني بما تحويه الآية من مواعيد صادقة وأمينة.

كل وصية للمسيح تحمل وعداً منه بالتنفيذ، فإذا آمنا حقاً بكلام المسيح وتمسكنا به بقلب واحد غير منقسم؛ يكون لنا فيه كل الوعد، تماماً كما وعد.

المسيح يعرض سلامه مجاناً مقابل ضيقات العالم، ولكن يلزم أن نرث منه هذا السلام الآن مُسبقاً، حتى إذا جاءت الضيقات انبرى سلام المسيح في قلوبنا ليُخفِّض من كبرياء التجربة، مهما كانت عنيفة، يخفِّضها ثم يُخفِّضها حتى يضعها تحت رجليك. هذه هي غلبة العالم، وهذا هو إيماننا الذي نغلب به العالم. ***فهل تؤمن بذلك، أيها القارئ العزيز؟*** (٣٣)

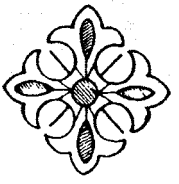

(٣٣) من كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا ج٢ ص٩٩٥

عشية عيد حلول الروح القدس

(يوحنا٧: ٣٧- ٤٤)

[وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلاً: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ. فَكَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ لَمَّا سَمِعُوا هذَا الْكَلاَمَ قَالُوا: «هذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِيُّ». آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ الْمَسِيحُ». وَآخَرُونَ قَالُوا: «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ يَأْتِي؟ أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَمِنْ بَيْتِ لَحْمٍ، الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَ دَاوُدُ فِيهَا، يَأْتِي الْمَسِيحُ؟» فَحَدَثَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَمْعِ لِسَبَبِهِ. وَكَانَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، وَلكِنْ لَمْ يُلْقِ أَحَدٌ عَلَيْهِ الأَيَادِيَ.]

إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب

هل أنت عطشان؟ هل الحياة مُجدبة؟ أليس هناك ما يعزيك ويعينك؟ هل العالم يضغط عليك بآلامه وأوجاعه؟ إن كنت عطشاناً حقاً؛ فالرب يدعوك للارتواء من ينبوع حبه. وأن ترتوي بالروح؛ فهذا هو العمل الأصغر!! أما العمل الأعظم فهو: «**من آمن بي تجري من بطنه أنهار ماء حي**».

من يعطش للروح يرتوي؛ ولكن من يرتوي، تخرج من بطنه أنهار ماء حي. كل من يرتوي يفيض، حتماً يفيض.

يا للروح القدس! ويا لعمله المتكامل مع المسيح! المسيح يسقي حتى الارتواء. والروح القدس يُفجِّر أنهار ماء حي من بطن الإنسان. فحالما يدخل الإنسان في سر صليب المسيح؛ يدخل في الحال في عمق أسرار الروح، فيفيض أنهار تعزيات. ولكن «**لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد**» فستظل هكذا حياتك في حاجة إلى مجد الصليب، لأن الروح لا يُعطى عفواً.

الروح القدس يقف رهن إشارة شهوة القلب، لشركة الآلام والأنين مع المسيح. الروح القدس يتحسس مقدار استعدادنا، ثم مقدار قبولنا، ثم مقدار فرحنا بالصليب وبالآلام، وحينئذ ينسكب بفيض وغنى.

ثم يستحيل أن يرتوي إنسان بحب المسيح، ولا تنفجر أحشاؤه بمواهب الروح القدس لخدمة المسيح! فالله لا يعطي بالشح. أليس هو الذي قال على فم الرسول: «**من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد**». فكم بالحري، وهو قد زرع بغنى في يوم الخمسين وبفيض مذهل؛ ألا يكمل زراعته على مدى الأيام والسنين بفيض مواهبه وبركاته؟

ألا تعلمون أن الرب غني، وهذه هي إحدى صفات المسيح الهامة جداً التي يجب أن نتعرف عليها، فإذا أعطى الروح القدس، فهو يعطي بلا كيل. يقول الرب: «**فمن منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً أفيعطيه حجراً، أو سمكة**

أيعطيه حية بدل السمكة، أو إذا سأله بيضاً أفيعطيه عقرباً. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري الآبُ الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه».

المقارنة هنا تهدف نحو دعوة صارخة للصلاة في طلب الروح القدس، ولكن ليس مطلوباً من الابن في هذا المثل أن يطلب بلجاجة أو بإلحاح، ذلك لأنه ابن، إنما اللجاجة تُطلب من العبيد، كما رأينا مع الكنعانية، أما البنين فيطلبون بدالة!! المسيح يريد أن يُصوِّر لنا أن مجرد طلب الروح القدس بدالة الابن لدى الآب لابد أن يُستجاب، لأن أولاد الله لا يمكن أن يعيشوا بدون الروح القدس، كما لا يمكن للبنين أن يعيشوا بدون طعام.

العذراء قالت: «**ليكن لي كقولك**» فتم كل شيء! هذا تنبيه لإيماننا أن نكون على مستوى الدعوة للأخذ المباشر. الله مستعد أن يعطي، ولكنه يريد قلباً يقول آمين، ليكن لي كوعدك. يقول الكتاب: «**سأسكب من روحي على كل بشر**» لذلك أصبح لزاماً علينا من جهة الإيمان أن نثق أن لنا طلباتنا التي نطلبها من الله.

ولكن من جهة أخرى، فإن الله لا يستأمن إنساناً لم يعزم بعزم القلب على أن لا يهين الروح القدس بكبرياء أو عداوة أو نجاسة. لا يليق يا إخوتي أن نأخذ الروح القدس ولا نعيش بوداعة المسيح وصبره.

لقد أكمل المسيح ذبيحة الفداء عن الخطية؛ ولكن مَنْ الذي ينقل لي فعل هذه الذبيحة، بكل ثمارها الخلاصية، إلا الروح القدس؟ فيقنعني ويشهد لي أني صرت ابناً!

ولكن الروح القدس لابد أن ينخس قلبي أولاً، ويقنعني بخطيتي حتى أرى الدم ضرورة حتمية لخلاصي. عمل الفداء أكمله المسيح بدمه بصفة عامة ومجاناً لكل البشرية، ولكن ليس لأحد حق في هذا الدم إلا الذي انفتح قلبه للروح القدس، وقَبِلَ سُكناه بعهد أبدي، وخضع لكل مطالب الروح في القلب والفكر.

الروح القدس ينقل لنا الفداء كفعل حي، والتبرير كقوة مُحركة، والصليب كمجد وتهليل، والموت في القبر كحياة، والقيامة كملكوت، ينقل كل هذا بإقناع، ويسلمه لنا بسلطان.

نحن مدعوون أن نأخذ سر المسيح، حينما يُحوِّل الروح القدس كل ما عمله المسيح في نفسه، بمسرة الآب، ليجعله عملاً في نفوسنا للبهجة.

يا ليت كل أسرار الصليب ينقلها لنا الروح القدس، مع وداعة المسيح المصلوب، الذي كان وهو في عمق الألم ينادي الآب: «**يا أبتاه اغفر لهم**» حتى يصير صليبي بركة لكل نفس، وليس لعنة حتى للصالبين.

هكذا تماماً ينبغي أن تصير آلامنا، حينما يُخيم عليها سر الصليب، مشفوعة بنفس الصلاة!

نعم، يا رب، اجعل آلامنا وذُلَّنا واضطهادنا، بركة وخلاصاً لكل من ظلمنا، ولكل من أساء إلينا، أو كان سبباً في أذية لنا، حتى تصير حياتنا بركة لجميع الناس، لا يشوبها لعنة لإنسان قط.

هذه هي صورة المسيح، يطبعها الروح القدس على قلوبنا بعمله الوديع الهادئ، وبسرٍ لا يُنطق به، فتصير النفس مع عريسها روحاً واحداً.

نعم يستطيع الروح القدس أن يقنعنا بذلك، عندما يسوق علينا الضيقات والآلام المتنوعة ليُخضعنا لصورة المسيح بقيادته المُبدعة، فيتمرس الإنسان بفنون الصليب، ويستنشق ريح الاضطهاد من بعيد، فيستعد لها بالصلاة والحب وإحناء الظهر، وليس بالمنطق والتهديد والعنف.

قوة الصليب لا يمكن أن تبلغ مداها في القلب إلا عندما يهتف الإنسان عن صدق ويقين: «**في يديك أستودع روحي**» حتى إلى الموت.

لابد لمن أراد أن يشهد للمسيح بالروح؛ أن يضع في نفسه كل لحظة حكم الموت!

لأنه منْ يستطيع أن يغلب هذا العالم، إلا الذي مات عن هذا العالم، واستعد أن يموت كل يوم لأي سبب، وبأي يد، وفي أي وقت. مثل هذا الشخص تكون شهادته نارية، وحياته نارية، وصلاته نارية. مثل هذا تكون كلماته قادرة أن تُغيِّر وتُجدد النفوس الشاردة، لأنها بالروح القدس تكون منطوقة، ولمجد الله وحده.

ثق أيها القارئ، أنه بقدر ما استؤمنت على عطية الروح القدس، بقدر ما يتألم المسيح في حياتك، بل يتمجد، إن قبلت أنت أن تكون شريكاً في هذا وذاك؛ وعندما تخرج من بطنك أنهار ماء حي، لن تعود تستطيع أن تضبطها أو توجهها، لأن الروح القدس يختار مسارها ويحدد أهدافها.

أما أنت فيكفيك أن تهتف دائماً: «**مستعد قلبي يا الله... مستعد قلبي**».

إن عمل الروح القدس يتم قليلاً قليلاً، وهذا يكون في التغيير وبدء التوبة، أما إذا تم التغيير وصَلُحَ الإناء، فعمل الروح يندفق، كنهر، كوعد الآب، وأنهار الله تجري من عرش الله ملآنة بأسرار الحياة.

ولكن الشاربين قليلون، لأن الكثيرين اختاروا تعزيات هذا الدهر، واشتهوا بالأكثر أن يرتووا من كرامات الدنيا، وقد بنوا قصورهم وآمالهم على الرمال.(٣٤)

صلاة

يا ربنا يسوع المسيح، يا مَنْ أضرمتَ روحك القدوس على الأرض كألسنة نارية استقرَّت على رؤوس تلاميذك وطرحتها كنار لا تريد إلاّ أن تضطرم على وجه الأرض كلها،

اِجعلها تشتعل في قلوبنا، اِجعلنا من اليوم يا رب نَحسّ بأننا أمام عُلّيقة مشتعلة مدعوون أن نكون قادرين لا أن نرى نارها؛ بل أن نلمسها؛ بل أن نَحتويها داخل قلوبنا كما اِحتوتْها العذراء.(٣٥)

---

(٣٤) كتاب الروح القدس الرب المحيي، مقالة: عمل الروح القدس في العذراء وفينا ص٤٨٩.

(٣٥) صلاة على عظة القصد الخلاصي من إرسال الروح القدس، عيد العنصرة عام ١٩٧٩، كتاب صلوات الأب متى المسكين ص١٤٢

عيد حلول الروح القدس

(يوحنا١٥: ٢٦- ١٦: ١٥)

[وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآب، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذي مِنْ عِنْدِ الآب يَنْبَثِقُ، فَهُو يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ». «قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لله. وَسَيَفْعَلُونَ هذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِي. لكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّي أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ: وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ لأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ. وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي أَيْنَ تَمْضِي. لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ، إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضاً. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.]

اليوم يا أحبائي نحتفل بعيد عظيم في الكنيسة، إنه يوم انسكاب الروح القدس على البشرية، يوم خالد لا تغرب شمسه لحظة. وهو ككل الأعياد والمواسم الكنسية ليس تمثيلية وليس تذكاراً؛ ولكن توقيع روحي على الزمن. فالزمن يستجيب وينفعل ويتغير ويحيا، مثل العظام الميتة التي تحيا. فالروح القدس مُحيي، وبمجرد ما يلتحم بالزمن يُحوِّله إلى لا زمن وإلى خلود.

لذلك فحلول الروح القدس في هذا اليوم وهب للكنيسة هذا السر الفائق، سر الالتحام، الذي فيه تلتحم الكنيسة بالأبدية، ويلتحم المنظور بغير المنظور، والزمني بالأبدي.

منذ اليوم تتنفس الكنيسة الروح القدس وتتنفس القداسة، لذلك نسميها كنيسة مقدسة، وقداستها دائمة طالما يسكن الروح فيها.

في الحقيقة لو أن الإنسان يحيا بالروح القدس؛ فستصير كل أعماله، حتى المادية منها، أعمالاً مقدسة. لقد غيَّر حلول الروح القدس مضمون عمل الإنسان وعرقه. كان العمل في القديم صورة بالكربون للعنة الأولى: «**بعرق جبينك تأكل خبزك**»، فكان كل عمل يعمله الإنسان على الأرض هو صورة مُصغَّرة أو مختومة بختم قديم جداً مكتوب عليه: "هذا عِرق اللعنة". ولكن بحلول الروح القدس تغيَّر الحال تماماً، ليس فقط على المستوى الروحي؛ ولكن أيضاً على مستوى العمل المادي اليومي.

للأسف لقد غابت الكنيسة اليوم عن العالم، لقد كان من المفروض أنها تعمل تجلّي للعالم، وللأرض، ليس فقط في تغيير الناس للإيمان؛ وإنما أيضاً في تغيير مفهومه للعمل والجهد وعرق الجبين، تغيير من كونه امتداداً للعنة الأولى إلى مصدر للبركات، قال عنها النبي في القديم: «**ويُكتب على القدور وأجراس الخيل قدسٌ للرب**». فأواني الطبيخ صارت مقدسة، والخيول التي كانت مكروهة عند بني إسرائيل في القديم صار مكتوب عليها أنها مخصصة للرب. بمعنى أن الحياة كلها صارت مُتجلية، كيف؟ **بالروح القدس**.

أولاد الله لم يأخذوا للآن عافيتهم بالروح القدس، فالمطلوب منا ليس فقط أن نعمل العمل الروحي؛ ولكن أن نُطوِّر العالم كله، نبث الروح القدس في كل مكان، لنُغَيِّر وجه الأرض.

في الحقيقة، نحن هنا في الدير، نحاول أن نُحوِّل العمل المادي لهذا المضمون، ونحن مُلتزمون أن نجعل حياة العمل وحياة الصلاة مُلتحمَين، كفعل زمني وفعل أبدي مع بعضهما، لدرجة أن الراهب الذي لا يُتقن الصلاة في أثناء العمل، يجب أن يُمنع من العمل. فلابد للراهب أن يصلي باستمرار ويرفع قلبه باستمرار أثناء عمله. أما إذا أخفق في هذا فيجب أن يعتكف في قلايته إلى أن يُجدد قواه الروحية، لكي عندما يعود للعمل مرة أخرى، يعمل بإحساس الوجود في حضرة الله، ويعمل كل شيء بدافع الحب الإلهي، الذي يدفعه للبذل والخدمة والعطاء، بل للموت لأجل الآخرين. (٣٦)

---

(٣٦) الروح القدس في الحياة اليومية، حديث مع طلبة الكلية الإكليريكية، مايو ١٩٨٠

الكنيسة اليوم محتاجة إليك، محتاجة إلى صلاتك. إن أنت لم تُصلِّ خسرت أنت، وخسرت الكنيسة. عليك أن تحس بما يريده الله منك ليصنعه من أجل الآخرين بواسطتك. فإذا أنت تكاسلت وتهاونت تكون النتيجة أن عمل الله يتعطل، وتحمل أنت الجُرم. الله يريدك أن تصلي لكي يعمل بالروح القدس في قلوب الآخرين لأجل أمور يحتاجونها، وهو ليس له غيرنا، نحن الرهبان، فإذا أطعنا كسبت الكنيسة وكسبنا من ورائها، ونلنا معونة الروح القدس وفرَّحناه؛ وإذا تقاعسنا تظل الكنيسة تعاني وأنت تعاني معها وتحس في النهاية إنك أضعت عليها الفرصة، وأنت في النهاية المسئول!

اسمع الآية: «**صلوا بعضكم لأجل بعض واطلبوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا**». الروح القدس يُنبه اليوم قلوبنا، يُكلمنا في الإنجيل، يُسمعنا صوته بكل طريقه، يقول لنا صلوا من أجل الآخرين، اطلبوا من أجل شفائهم، ليس هو شفاء جسدي، ولكن من مرض اسمه: الانصداد عن الحياة الأبدية.

للأسف أنت تقول: "أنا قد استغنيت، وليست لي حاجة لشيء"، ولكن الروح يقول لك:" أنت شقي وفقير وعريان، تعال خُذ مني الروح القدس للصلاة". اعلم أن الرب يريد أن يعطيك، ولكن عليك أنت أن تطلب. الرب يديه مملوءة عطايا ومواهب، ولكنه لن يعطيها إن لم تخطفها منه، يريدك أن تغتصبها من يده. وأعظم هدية تأخذها من الروح القدس هي الصلاة.

الروح القدس هو كملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونه. فإن هو نبَّه قلبك لفكرة معينة فلا تتوانى وستجد منه معونة، وسيعطيك القوة على التنفيذ، وستفعل أموراً لأول مرة تصنعها في حياتك.

وسيعطيك الروح القدس فهماً للإنجيل، آية وراء آية، وأصحاح وراء أصحاح، بعد أن كنت من قبل لا تفهم شيئاً! كما إنك ستجد آيات تجدها موجَّهة لك، فيها كل حياتك، وكأن الرب يخاطبك من خلالها مباشرة. وهناك أمور يُشدد عليها الروح، يحثك عليها، يكررها عليك مراراً يريد أن يقول لك شيئاً، فلابد أن تتجاوب معه، إياك أن تهرب وتترك الصلاة، إياك أن تمل، وتقول: زهقت ومليت. بل قف صلِّ أيضاً. (٣٧)

كيف أسترضي وجه الروح القدس؟

الروح القدس هو إشبين النفس لأنك وُلدت من حضنه في المعمودية. هو الذي يُعرِّفك بالمجد الذي نلته بدخولك في الزيجة السرية بينك وبين الرب.

ولكن كيف أُمسك في خناق الروح القدس؟ الأمر في مُنتهى البساطة: حَصْرُ القلب والعقل فيه. هذا هو العمل الوحيد الذي عليك أن تعمله، أن تحصر عقلك في الروح القدس، وتحصر قلبك في الروح القدس، وتعيش معه اليوم كله، وتناجيه وتُوقف حياتك وساعاتك وأوقاتك في الطلبة المستمرة لكي يحقق لك المسيح وعده بأن يُعرِّفك بكل الحق، فهو القادر لأن

---

(٣٧) الصلاة والروح القدس، عظة بتاريخ ١٩٩٤/٢/٢٠

يعلّمكم كل شيء». فإذا توسلت إليه بدموع وأنت في محنة، مثلاً من أجل خطية مُتعبة فيك من جهة عداوة، بغضة، أفكار غير طاهرة...وتقول لـه: *{أرني قوتك، كيف يكون المسيح فيَّ وأنا أعيش كهائم آكل الخرنوب؟!}* عندئذ ستجده قريباً منك ويُعرِّفك قوتك ونُصرتك في المسيح، وعندئذ تجد الفكر قد ذهب تماماً، والقوة الشيطانية المسيطرة على العقل ذابت ذوباناً، وإذا بالشخص الذي كنت أتألم بسببه قد صار كملاك أمامي.

وإذا ضغط عليك فكر نجس مثلاً، بالليل أو بالنهار، قُم مُنتفضاً ساجداً على الأرض، ونادِ الرب، هنا سيتحول الفكر إلى فكر مقدس وستحس بالرب يسوع كقوة فاعلة فيك للمجد.

الروح القدس يأخذ مما للمسيح ويعطينا:

عمل الروح القدس أنه يُعرِّفنا بكل أعمال المسيح وبكل صفاته وعطاياه. اُطلب أي شيء يعجبك، اُطلب من أجل شيء يتعبك، تذكَّر الروح القدس واطلب منه، تجده يُوجِّهك ويُعرِّفك بالذي عمله المسيح لك في هذا الأمر، فتأخذ قوة، وتأخذ نُصرة، وتأخذ فرحاً وتعزية.

المسيح هو نُصرتك، هو سلامك، هو قوتك، هو عزاؤك وفرحك، هو ماؤك الحي، هو حياتك الأبدية، هو وداعتك واتضاعك، هو مسكنتك.. هو كل شيء. فإذا انتابك روح كبرياء وعجرفة، يأتيك المسيح كوديع ومتضع ويذيبك ذوباناً، ولكن لابد من توسط الروح القدس. إنه يُقرِّب لك المسيح، فتراه على قدر ما يمكنك إدراكه قليلاً قليلاً.

فالروح القدس هو الواسطة الذي يقدر أن يصل ما بين المسيح وبينك. يقدر أن يُحضر لك المسيح المتضع فتتضع، والمسيح النور فتنير، والمسيح الحلو فتصير حلواً، والمسيح الطاهر فتصير طاهراً، ولا يصعب عليك شيء إطلاقاً. (٣٨)

صلاة

نَحن في أشدّ الحاجة يا رب إلى قوّة روحك القدوس، لكي نستطيع أن نتجاوز أفكار ومشيئات وأعمال هذا العالَم المُظلِم ونعيش ساعات أو سويعات ولو قليلة كل يوم، يا رب، في ملء القوّة؛ قوّة الروح القدس؛ لنعرف ونقيس مع القديسين ما هو الطول والعرض والعمق والارتفاع، لنبنِي على أساس الحب، بناءً راسخاً لا يتزعزع حتّى ولو إلى تذليل النفس، مكمِّلين، يا رب، في جسدنا، بِحسب قول بولس الرسول، كل آلامك وما يَخصنا منها أيضاً، مستعدّين أن نَحتمل لنكمل في حياتنا وفى أجسادنا نقائص شدائد المسيح.

نَحن في ضعف شديد. نداؤنا إليك أنك لابدّ أن تقوِّينا، لأنك وعدتَ أن قوّتك في الضعف تَكْمُل، بل لنا أن نفتخر بضعفنا أمامك يا رب حتّى تَحلّ قوّتك علينا، لأنه كيف تعطى قوّتك للقوىّ؟ كيف تعطى حكمتك لِحكيم بذاته؟ أو كيف تعطى نعمتك لإنسان يشعر أنه صاحب نعمة؟

ربنا، نقف أمامك وكأننا لا نَملك شيئاً، مع أننا نَملكك ونَملك كل شيء بك وفيك. ولكن اِجعل هذه رؤيتنا الدائمة التِي لا تفارقنا أننا لا شيء ولا نَملك

---

(٣٨) مقتطفات من عظة عيد العنصرة سنة ٧٤، بعنوان: عمل الروح القدس في قلب الإنسان.

شيئاً، مائتين بالحق، وإن كنا نَحيا فيك أنتَ وحدك نَحيا وبروحك القدوس نَحيا، نَحن مَحسوبون كقذر العالَم ووسخ كل شيء، هذا هو فخرنا، لأننا بذلك نستطيع أن نلمح ولو من بعيد ذلك الإكليل الذي أُعدَّ لنا في اليوم الأخير.

كيف نُكلَّل إن كنّا نُكرَّم في هذا الزمان؟ كيف ننتظر نصيباً لا يتزعزع مَحفوظاً لنا في السماوات؛ ولا يتدنّس؛ إن كنّا نطلب أو نشتهي أو نَجرى وراء أنصبة أرضية؟

فاجعل لنا يا ربِّي هذه الرؤيا لا تفارقنا، وهي أن لنا الروح القدس وكفَى، وهو يُعطى بِحسب الحكمة والفطنة التي له من جهة عطيته لنا حسب قامة الإيمان.

زِدنا إيماناً لكي نستزيد عطية الروح القدس في هذه الأيام، سنعيش لك وسيكون فرحنا الوحيد بك، وسيكون أملنا ورجاؤنا الوحيد هو أنتَ، ويكفينا هذا.

باركنا وبارك وقفتنا أمامك في هذا اليوم، وبارك هذه السنة بطولها وعرضها، بارك فيها بعمل روحك القدوس، واجعل كل واحد من الواقفين أمامك يا ربِّي يستنشق بالحق والصِدق روحك القدوس ليسرى في أعماق أعماقه لِيُجدِّد فيه كل قوَّة، لنعيش من جديد، يا رب، بِحسب الإنجيل؛ بِحسب وصيتك، مولودين ثانية كل يوم لا من زرع يفنَى ولكن بكلمة الله الحيَّة. اجعل لنا يا رب كلمة، كلمة الحياة، اجعل لنا هذه الكلمة، قادرة أن تُجدِّد قلوبنا كل يوم.(٣٩)

---

(٣٩) صلاة على عظة: مسحني لأبشر المساكين، عيد العنصرة ١٩٨٠، صلوات الأب متى المسكين ص١٤٣

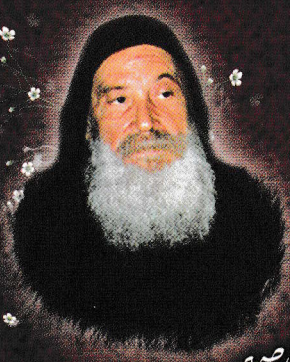

الأب متى المسكين

لقد أحبّ كلمة اللهّ وأخلص لها وتعمّق أسرارها، وجعلها طعامه وشرابه، ونورًا لطريقه طوال حياته حتى آخر يوم في عمره على الأرض. فلم يكف قط عن اللهج بها والتعمّق في أسرارها حتى صار لسان حاله كما قال المرتّل في المزمور:

"لكل كمال رأيت منتهى أما وصاياك فواسعة جدًا ناموس فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة" مز ١١٩).

لك ظلّ طوال حياته في البحث والتنقيب في الأسفار المقدّسة بشغف شديد وحبّ متدفّق لكلمه اللهّ يخرج منها كل يوم جددًا وعتقاء. وكان هدفه دائمًا هو الحياة حسب الوصية والطاعة الكاملة لها، والبذل والمحبة لكل إنسان عدوًّا كان أو صديقًا.

هذه السلسلة الجديدة

(٣ كتب)

هي إقتباسات مختارة من كتبه

وقعناها على أناجيل قداسات السنة القبطية على مدار العام

Newgoldenheart@yahoo.com

الثمن : ٦ جنيهات